مراقيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2114) السنة الثامنة

الخميس (28) نيسان 2011

3

عوني كرومي..
المبدع الذي سعى لاختزال المسرح

عوني كرومي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

مسرحية جميلة اسمها عوني كرومي

علي حسين

((اريد ان اموت في بغداد)) اخر كلمات قالها صاحب القلب المرهف رافضا الخراب الذي حل بمدينته الحبيبة -بغداد- فاثر ان يتوقف بعد ان ظل يراوده حلم العودة والوقوف ثانية على خشبة مسرح (الستين كرسي) وشرب الشاي الساخن في المقهى البغدادي . وفاته ان يعلم ان شارعه الاثير (السعدون) تحول الى كتلة اسمنتية عملاقة وان مسرح الستين لم يعد له وجود في زمن امراء الطوائف وان المقهى البغدادي استبدل الشاي بالويسكي ومحمد القيسي بجنود المارينز.

×××

عوني كرومي صوت هادئ وعينان حالمتان بالرؤى ووجه يحمل الطيبة اينما حل وفم لاتغادره السيجارة ابدا .. يتحدث بسرعة لكن بهدوء .. يدع الكلمات تخرج مرحة من بين شفتيه .. رجل بسيط مملوء بالذكاء لايتحدث اكثر مما يصغي .. ساحر ثابت النظرات يتارجح في حلقات من الخيال .. تتجدد الحياة في عينيه مثل خشبة المسرح ويرى العالم من خلال مخيلته الثرة.. شخصية امتزجت فيها طيبة العراقيين مع رؤى برشت وتساؤلات المثقف الوطني .. تستفزه الكلمات فيحولها الى صور متوهجة . المسرح بالنسبة اليه معركة من اجل الحياة.. في مسرحياته تتشابك الاضواء مع الكلمات بزخارف واصداء محببة الى النفس يفهم الفن على انه تصوير لوجدان الناس واحاسيسها الحقيقية ورسم للمدى الذي يبلغه الخيال من الواقع .. رجل مهووس بالحياة والمؤانسة والمشاكسة .. شغوف بالحرية حتى انعكس شغفه هذا على سلوكه اليومي والحياتي كما انعكس على مسرحياته وكتاباته ومواقفه الشجاعة.. مسرحي مولع بفك وتركيب العالم دائماً دائم التعدي على السكون ولايستطيع ان يكون رقما في اي معادلة لذلك كان كثيرا خارج المعادلات وخارج كل الحسابات ورغم انه كان يعتبر نفسه احد ابناء جيل الستينيات الا ان احدا لم يسكنه في احد طوابق هذا الجيل.

ظل ابداعه مقترنا بابداع الحياة واستجابات التحدي الفورية لمشكلاتها .. كان ممتلىء الوجدان بالحقيقة دون ان يسجن نفسه في دائرة سياسية معينة لذلك مضى في طريق تمرده الذي لم يعرف سوى الايمان بالعدالة الاجتماعية وقد جعل منه هذا الايمان مسرحيا ملتزما بقضايا الناس التي اصبحت جزءاً من مكونات وعيه الثقافي .

×××

الناس وهمومهم.. كانت كلمات السر والمفتاح السحري الذي دخل منه عوني كرومي الى عالم المسرح .. فمنذ عمله الاول (جان دارك) ومرورا بمبادرات والمسيح يصلب من جديد وغاليلو وفوق رصيف الغضب وصراخ الصمت وترنيمة الكرسي الهزاز وبيرو شناشيل واعمال تجاوزت السبعين عملا كان فيها عوني كرومي يؤمن بان الجمهور لايمكن له ان يصبح متفرجا من مواقع المواجهة للعمل المسرحي بل ان الجمهور هو جزء من اللعبة المسرحية التي يعيشها الممثلون والمتفرجون معا .. فالعمل المسرحي لايبرر وجوده دون ان يصبح الجمهور نقطته المركزية ولذلك خرج من مسرح اللعبة الى مسرح المختبر ليدوزن اللعبة المسرحية على مواصفات اماكن غير تقليدية .. شقة في بناية - بيت عتيق في السنك- كنيسة تنيرها الشموع- باحة في كلية الفنون - رصيف منسي في احد شوارع بغداد .. اماكن استوحى منها كرومي منطق رؤياه وبنى من خلالها معماره المسرحي فالفضاء المسرحي كان العصب الاساسي لمعظم اعماله المسرحية والهيكل العظمي الذي يعطي لعروضه الفنية قيمتها ومعناها .. وهو يؤمن بان العمل المسرحي لايقرأ الا من خلال مكانه لذلك انصب اهتمامه على توظيف المساحات توظيفا فنيا فالمكان يوضح الشخصية ويعمق حضورها وهو يقول للناقد ياسين النصير (المكان عندي مادة واقعية.. لغة تقربني من الناس .. انا لااميل الى تغريب المشاهد ولا الى الغاء حواسه وخبرته بل على العكس اجعل منه قريبا من خلال مشاهد سبق ان عاشها واحبها وتعرف عليها) .. وهو مثل معلمه برشت يدين الخشبة المسرحية القائمة على تراتيبية المقاعد لانه يريد من الجمهور ان يصبح جزءاً من الصورة العامة او جزءا من الاداء او الحكاية .

ويؤمن عوني كرومي بان مسرح معلمه برشت لايمكن عرضه بصدق ودقة الا من خلال روح الجماعة الموحدة الفاهمة لهذا فهو يولي اهمية قصوى للممثل -المنتج- ويجد راحته في العمل مع الممثلين الشباب اي مع الممثل الذي يكتسب مهاراته من خلال دراسته وسعيه الى الاكتشاف وصولا الى تقديم صورة للتجسيد الدرامي واشباع الغاية الفنية من وجود الممثل في العمل المسرحي ولهذا فالممثل الذي يعمل مع عوني كرومي لابد من ان يمتلك ثقافة تجمع بين الفهم الخاص للشخصية والفهم العام لقضايا المجتمع .

×××

ثلاثة انواع من النصوص لم تكن تغيب عن بال عوني كرومي .. اولها واهمها نصوص برشت والثانية تشيخوف والثالثة نصوص عراقية قريبة الى نفسه كنصوص فاروق محمد ومحيي الدين زنكنة .. وقد داب منذ تجاربه الاولى على البحث عن نمط خاص من المسرحيات يعالج فيها فكرة صمود الانسان امام محاولات تدمير قيمه الروحية والاجتماعية .. نصوص تعري وتكشف مايتعرض له الانسان من ضغط وقهر .. ولهذا نجد دائما ان ثمة مسرحيات تتحرك بالقرب منه .. غاليلو .. كريولان .. الخال فانيا .. الغريب .. صراخ الصمت .. الانسان الطيب .. ترنيمة الكرسي .. الاب .. اعمال تناقش الحاضر بكل عنفوانه وقسوته ويخبرني عوني كرومي عندما شاهد مسرحية تشيخوف الشهيرة - الشقيقات الثلاث - عام ١٩٧٤ في برلين خرج من قاعة العرض ورأسه يغلي من حمى الخواطر والافكار وقد رافقته هذه الحمى سنوات عدة دفعته الى التفكير في ان الانسان انما يحتاج الى المكاشفة والى معرفة ماذا يريد .

(اذا اردت ان تعيش فعليك ان تعرف هذا العالم الغريب .. ان تعرف) .. تلك كانت الجملة التي رافقته من مسرحية الشقيقات .. ان تعرف .. يعني ان تنفتح على العالم على كل ذرة في الحياة ولهذا نجد ان المسرحي فيه يكمن بالمرصاد لكل اللحظات الفريدة في الحياة فهو كالصياد ينقض عليها ليكتشفها من جديد وفي معرفته للحياة وانفتاحه عليها يحاول ان يقدم تجربته مسرحية تشع صدقا وعفوية وبساطة وتعكس بصمات فنان ماهر . وحسا دقيقا مرهفا .. ولهذا نجد ان كل خطوة او ضربة على الجدار او كلمة او صراخ او صمت او دقة ساعة حائط او حتى ابسط بقعة ضوء لها وظيفتها المحدودة في اعماله المسرحية التي كانت تسعى الى ان تحول الملهاة الى مأساة تصب في قلب الواقع .

×××

يكتب برشت في اخر ايامه ..
لست بحاجة الى شاهد قبر لكن
ان احتجتم شاهدا لقبري
فاني اود ان يكتب عليه :-
لقد طرح اقتراحات ، نحن قبلناها
مثل هذا النقش سيغدو
تكريما لنا جميعا .

ودون ان نعرف ماذا سيكتب على شاهدة قبره ينسحب عوني كرومي تاركا لنا دراسة اعماله والنظر الى حياته من جديد لعلنا نجد الى جانب- طيبته المفرطة- كثيرا من العقل والفن والدموع ايضا

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي..
المبدع الذي سعى لاختزال المسرح

د. فاضل خليل

منذ التقينا صبية مسرح، ندرس في صباحات بغداد ونعمل في مساءاتها مع الأسطوات في الفرق المسرحية الكبيرة. كنت أنا قد انتميت توا إلى فرقة المسرح الفني الحديث، أما أنت فقد كنت واضحا في المسرح الشعبي لقد سبقتنا في التجربة، تنتقل هنا وهناك : تقدم العروض المسرحية. مرة مخرجا في المركز الثقافي المسيحي، لن أنسى (جان دارك) أو (المحرقة السعيدة) كما كان يحلو لك ان تسميها، لقد كنت تشعر بالسعادة فيها والغبطة لمسيحيتك التي لم نكن نشعر بها، لأننا كنا نشعر بان ديننا واحد. وأخرى ممثلا مع سامي عبد الحميد في الجمعية البغدادية.

جيدا أتذكر أدوارك الصغيرة – الكبيرة، فها أنت أمامي في مسرحية (في انتظار كودو) ومسرحية (في انتظار الموت) تقف ممثلا مع سامي عبد الحميد مخرجهما وروميو يوسف – الممثل الأقدم بالنسبة لنا – وأنت تقف بينهما بوجهك الـ baby face، ابنا بارا لفرقة المسرح الشعبي يحتضنك كبيرها جعفر السعدي الذي كنا نغبطك لحبه الواضح لك، نعم .. انه بالغ في حبك، وكأننا نسينا بأن السعدي كان يحب الأبناء المؤدبين، المشاكسين أحيانا، وليس دائما كما كنا. أنا أقدر فرحته اليوم بلقائك واحتفائه أن يراك بين جنبات جنته – مع ثقتي أنه لم يكن تواقا لأن تذهب إليه مبكرا بهذه العجالة، التي ستعذبه مثلما عذبتنا –. منذ اقتسمنا لقمة الهم والفن يا عوني ونحن سبايا وأبناء لعوائل متعففة، ابتلوا بقصر غيرنا ورزق لا يسد الرمق، وهذا كان واحدا من أسباب نضجنا المبكر. هل أدركت لماذا كبرنا أسرع من الآخرين ؟ ذلك لأننا كنا آباء أنفسنا في بغداد البعيدة عن مدننا الصغيرة، لا لشيء إلا لنترك آباءنا يهتمون بمن تركنا لهم من آخرين. الذي جعلنا نحمل هموم الكبار في كل شئ، في الفن والحياة والمعيشة، وفي مقارعة الموت من الجوع وبقية مستلزمات الموت والوحدة وتبدلات الجو القاسية. فأنت قادم من موصل العراق وأنا من ميسانه. لكنا وبرغم عذاباتنا الكبيرة تلك، عوضها لنا تعلقنا بالفن وبالناس، كنا صغارا نخاف فنخفي حتى أفكارنا، برغم التصاق تلك الأفكار بنا وملاحقتها لنا كالظل تلاحقنا، ولم يمنع ذلك من أننا قد بدلنا ثياب حقيقتنا أحيانا. فرحين كنا، حين كنت دفعتكم في أكاديمية الفنون الجميلة، بدورة عوني وهاني هاني وقائد النعماني وآخرين بينهم من كان أقل أهمية، ودورتنا التي كنت بنا : الفاضلان سوداني وأنا ولطيف وخليل وغازي وآخرون أيضا بالاهمية ذاتها أو أقل قليلا. أتذكر أيها المسرع بالرحيل : كيف كنا نتحايل على الأساتذة المفيدين ؟ وكيف كنا نزج أنفسنا بينهم كي نتعلم أسرع، ولو اضطرنا ذلك إلى التنازل عن بعض قناعاتنا. أتذكر يا عوني، يوم ازدحمت قاعات العرض ببغداد بالعروض السهلة ؟ أنا واثق من انك لن تنسى تلك الأيام التي كرهناها. أردت أنت أن تعيد تجربة تقديم النص الشعبي الذي يختزل كل المسرح الذي نريده مع الجمهور، في حكايته الشعبية الراقية التي تحمل حكاية شعب وآلام شعب. حين أقدمت على إخراج مسرحية (بير وشناشيل) لكاتبها عباس الحربي، ولم أكن وقتها ممثلا ضمن مجموعة الممثلين، لسبب بسيط هو : إنني كنت عضوا في فرقة المسرح الحديث، والمسرحية كانت لفرقة المسرح الشعبي، ولم تكن وقتها قد أخذت لي إذنا بالعمل فيها من فرقتي ليس اكثر. إلا أن الظروف شاءت أن يودع السجن جواد الشكرجي – ممثل الدور الرئيسي الذي مثلته أنا بدلا منه – طوال تمتعه بإجازة السجن لمخالفته التعليمات العسكرية وقتها. فطلبت مني تمثيل الدور لحين خروج الشكرجي من سجنه، وافقت على الفور وكان لنا أن نلتقي.

أتذكر انك حين أردت أن تعطي العمل فرصة إعلامية بإشعار الجمهور بها– رحنا واتفقنا مع شركة إعلان تلفازية، على أن نعرف أن الإعلان كان مكلفا جدا، خصوصا حين يكون وقت عرضه في أوقات العرض التلفزيوني الممتازة. وصورنا الإعلان مع خوفك الكبير من الانزلاق بالتهم الاستهلاكية فندرج في قائمة المسارح التجارية السائدة، مما جعلك تختار أكثر المشاهد هما ونكدا. حتى إننا ضحكنا كثيرا و(نصبنا) كثيرا على الإعلان وعلى انفسنا وحينها قلت لك : يا عوني لنصنع من هذا الإعلان (كاسيتا) للفواتح التي تقام على أرواح الموتى. تصور .. الموتى .. الموتى .. الموتى يا عوني .. الآن .. أدركت أني غير متوازن .. فاسمح لي أن أذهب .. كي أصنع إعلانا .. عن .. مو.. ت.. ت.. موت .. موت من ؟؟؟ دعني أذهب كي أمنح نفسي فرصة التصديق .. ثم أعود .سيأتي اليوم الذي سأصدق فيه انك بيننا وانك لم تغادرنا إلى المنافي التي اماتتك في حب العراق كما وصفه الشاعر عدنان الصائغ

(العراق الذي يبتعد كلما اتسعت في المنافي خطاه .

والعراق الذي يتئد، كلما انفتحت نصف نافذة قلت آه ..

والعراق الذي نصف تاريخه عيون وكحل، ونصف طغاه).

(×) في حزيران /يونيو ٢٠٠٦م – رحل عنا المسرحي الكبير د.عوني كرومي، تسلمت هذه الرسالة بعد وفاته بأكثر من شهر، ويبدو أنها كانت محفوظة في ملفات الكومبيوتر، أدركتها السيدة أم حيدر – زوجة عوني كرومي – فأرسلتها، إلي عن قصد لأنها ربما آخر الرسائل التي كتبها، ولم يرسلها، أو قل ان سوء حالته الصحية قبل موته بأيام، ولم تعطهم الفرصة لإرسالها فجاءت بعد موته. وبعد أن كتبت

الرسالة:

الأخ والصديق العزيز والقريب إلى القلب والروح.. فاضل

اسمح لي ان أخبرك بهذه الحقيقة وهي إنني مثل أي متخلف اترك أمور الرد على الرسائل إلى أم حيدر أما اليوم فأنا مذنب وأود ان اعترف بذلك كيف حالك أيها العزيز أنت دائما على البال ونتذكرك بكل خير أنا وأبو سلام ونتكلم عنك بكل خير ومودة اعرف ان الأمل اليوم في اللقاء بك أصبح أصعب من الصعب ذاته والألم والحزن يشمل كل وجودي وحياتي أنا حزين لكل ما يحدث كنت كل يوم احلم بالعودة واحزم حقائبي وانهي كل معلقاتي وأكثر من مرة أصل إلى المطار أو محطة الباص في القاهرة ودمشق ولكن القدر اكبر مني، أتراجع أنا اعرف جيدا أن سلطة الخوف هي التي تمنعني ماذا افعل كم أتمنى أن التقيك أيها العزيز أولا وكم أمل ان أعود إلى كل الأحبة والطيبين أن ثقتي كبيرة كبر هذا الكون وان الذي يحدث لايمكن أن يكون حقيقة أنهم يسرقون زماننا ويدمرون روحنا وذاكرتنا

عزيزي فاضل

سقطت زهورنا في النبع الذي كنا نبحث فيه عن وجوهنا

متعب من الترحال والفراق والغربة ومجهد من الألم

أريد أن احتضنك يا فاضل يا عزيز ولو لمرة واحدة كي اطفئ الحنين

في الدقات البطيئة لقلبي المجهد

اسمع صوت العراق يناديني

يا ترى هل نعود يوماً

إنني ابكي بحرقة هل ترى في العتمة بصيص أمل..نور؟

هل نغرف من نبع حب العراق يوما ؟

عندما أغمض عيني في العتمة أرى

العراق الجميل الذي اعرف

أرى عينك يا فاضل تندفع إلى بوابة قلبي

أنا ابحث عن وطن يحتويني عن قلب

فلقد أجهدني الترحال

أنا مازلت انتظر اليوم أيضا مثلما كنت قبل سنين على أمل ان يلوح في الأفق؟

أم كل شي قد انتهى، أنا أصبو ولكنني لا اقدر، كيف سينتهي كل شي، أنا أصبو، أنا احلم ففي الكون الذي أنا فيه يعجز الإنسان عن تحقيق أي شي

أو أنا الآن أعلن عن عجزي

لهذا اليوم اكتفي بهذا الحد على أمل أن نتواصل في المستقبل فلقد اخذ الحزن يطفو على رسالتي لك

تحياتي القلبية لك والى العائلة وجميع الأصدقاء والطلبة والمعارف المشتركين انك دائما معي حتى لو لم اكتب أيها العزيز اقبل مودتي وحبي

عوني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي ذاكرة و بورتريه

عدنان منشد

يوم عاد الفنان د. عوني كرومي الى بغداد قادما من المانيا في النصف الثاني من عقد السبعينيات الماضي ، قدم مسرحية (غاليليو غاليليه) على المسرح التجريبي في أكاديمية الفنون الجميلة ، وكان العرض حدثا كبيرا في المشهد المسرحي العراقي وقتذاك –يضاهي وربما يتجاوز –عروض المسرحيين العراقيين الكبار، امثال : ابراهيم جلال وسامي عبد الحميد وبدري حسون فريد وقاسم محمد ومحسن العزاوي وسعدون العبيدي وسليم الجزائري، وغيرهم الكثير.

الطريف ، ان الذي دعاني الى مشاهدة هذا العرض ، الاستاذ عبد الرزاق الصافي ، العضو السابق في المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، ورئيس تحرير (طريق الشعب) باعتباري أحد المحررين لديه في هذه الجريدة ، على الرغم من انغماري الكامل في القسم الثقافي بادارة الشاعر حميد الخاقاني،

وبوجود الزملاء الاحبة ممن كانوا يعملون معي في القسم المذكور ، ومنهم فاضل ثامر ، الفريد سمعان ، رشدي العامل، يوسف الصائغ، رضا الظاهر ، نبيل ياسين ، عدنان حسين ، فضلا عن الراحلين قاسم عبد الامير عجام وحسين الحسيني.

قادني الرفيق الصافي (أبو مخلص) الى الشارع العام، حيث سيارته (الفولغا) من نوع (البعيرة) كما يتندر العراقيون على هذا الصنف من السيارات في ذلك الوقت، بفعل الاشاعات والنوادر التي يطلقها البعض من عناصر حزب البعث بحق الشيوعيين العراقيين، خصوصا في استعمالهم للسيارات السوفيتية القادمة من ضفاف نهر الفولغا الروسي.

ولكننا ، وبالرحمة السماء وصلنا في الموعد المقرر للعرض ، حيث كان الفنان عوني أول المستقبلين لنا ، وأجلسنا في الصف الامامي من المسرح ، حيث أتيح لنا بعد ذلك ان نشهد عرض (غاليلو غاليليه) بمزيد من الاستقبال الذهني وبأستجابة قلبية شفيفة.

لااذكر ابدا اني رأيت جمهورا من العراقيين تبدو عليهم امارات السعادة والسرور الحقيقية وهم يتواصلون مع تجليات المنهج البريشتي في ذلك العرض خصوصا في سحر(الملحمية) وفعل (التغريب) بقيادة عوني كرومي ، الامر الذي خلخل قناعاتي الشخصية وقناعات العديد من الجمهور حول تجارب الرائد ابراهيم جلال في انهماكاته الاخراجية ذات التوجه البريشتي ، ومنها عروضه المسرحية المعروفة (البيك والسائق/مقامات ابي الورد/أبو الطيب المتنبي...) فكان علي ان أسجل هذا الفارق بين فنان محنك رائد ، وفنان اخر من التلامذة الاصلاء الذي عرف منذ البدء مشاكسة اساتذته المخضرمين في أخطر منهج اخراجي في القرن العشرين ، وكانت مقالتي في (طريق الشعب) بعد اسبوع من هذا العرض ، مثار أسئلة واعتراضات من الوسط المسرحي ،ولكنها على العموم ، كانت البداية الحقيقة في التعرف شخصيا على الفنان عوني كرومي واقامة الصلة معه والانهماك بتجاربه المسرحية القادمة ، خصوصا وانه ينتسب الى فرقه (المسرح الشعبي) بقيادة الراحل جعفر السعدي ، وانا انتسب لفرقة (مسرح اليوم) بقيادة المرحوم جعفر ، وكلا الفرقتين في طابق واحد ضمن عمارة (أخوان) في شارع السعدون .

وهكذا ، توالت اللقاءات بيني وبين عوني كرومي وأعضاء فرقته وزوجته التي كانت زميلة معي في كلية الزراعة ، نتابع معا احوال المشهد المسرحي العراقي ، ونطمح جميعا في تأسيس مسرح الـ (٦٠ كرسي) ضمن الطابق المذكور بمنطلق عال، وبهمة يسارية معروفة في ذلك الزمن الصعب.

اذكر ان في دعوة هذا الفنان لتشييد هذا المسرح التجريبي الذائع الصيت معاناة كبيرة والماً شديدين . وكان يصارحني ويصارح الكثير من زملائي في فرقتي (المسرح الشعبي) و(مسرح اليوم) قائلا: ان المسرح الذي بين أيديكم يستحق المعاناة وصبر التأمل ، انه ينهك الاعصاب ، وقد يثير الرعب ،ولعل أقل ما يقال فيه انه يحمل على التذمر.

وصدقت هذه النبؤة لعوني في أول عروضه المسرحية (مس جوليا) لسترنبرغ على هذا المسرح ، حيث تذمر الفنان أديب القله يجي وزوجته الفنانة المعروفة وداد سالم ، بعد معاناتهما الحقيقية معه في تدشين مسرح الـ(٦٠ كرسي) لاعتبارات كثيرة لا يسمح المجال في ذكرها وكانت ثالثة الاثافي معي ، حينما كتبت عن عرضه المذكور بقلب مخلص يشتاق الى مسرح التغيير الذي سعى اليه عوني بشكل محموم ، وتذكيرا بمنهجه البريشتي .

ولكنه –للاسف الشديد – انفعل وتذمر كثيرا لما كتبت ، بل هاج وماج ، ثم رفع شكوى تحريرية عني الى ادارة (طريق الشعب) فساءني منها حجم التهكم والشتائم بحقي ، على الرغم من ان تجربته المسرحية في ذلك الزمن لاتتعدى العرضين المذكورين فضلا عن عرض اولي سمعت به مرارا وتكرارا قبل سفره الى المانيا تحت عنوان (المسيح يصلب من جديد) تحت اشراف ابراهيم جلال وجاسم العبودي، في أول تجربة لمشروع (ستوديو التمثيل) في بغداد. فأشركني موقف عوني المذكور في حيرتي واضطرام نفسي ... فكان طلاق بالثلاث لاعماله المسرحية اللاحقة ومنها (رقصة الاقنعة / كشخة ونفخة/ كريولانس /ترنيمية الكرسي الهزاز.. وغيرها) ، ولكن ، عوني هو عوني

(الفراغ المميت)

د. عقيل مهدي يوسف

راجت في الوسط المسرحي العراقي صورة المخرج عوني كرومي، الطيب الذي يعيش وفق قوانين "مسرحية" على الرغم من شروط الحياة التي اورثته قلبا متعبا، خضع مرارا لمبضع الجراح.

في لبه يقبع انسان معذب (يحمل صليبه) الدنيوي وهو غالبا ما نلمحه في رسائله المسرحية، ويجري مناسكه المسرحية في طقس جماعي، تكون فيه مشاهد المجاميع مبنية من عناصر بشرية مسحوقة، ومهمشة، ومعذبة، تبحث عن الخلاص، وكانت (ماكنته) المسرحية باشتغالها تطمئن هواجسه في البقاء حيا، مؤثرا، مكتوبا ومقروءا في المحيط.

وحين يكف عنه المسرح، تجتاحه برودة صقيعية، برودة حدثني عن ضراوتها ورعبها بعد اجراء العملية الجراحية لقلبه، حينها تطلب حبه الحياة البحث عن انجع الطرق للوصول الى الشمس ودفئها، ومغادرة "المانيا" بأتجاه "الكويت" قال لي: طالما تمنيت الموت، لكنني بت متعلقا بالحياة . لان . قناعاته الجديدة، حين سألته عنها، قال متأولا اسبابها بان للخبرة والعمر دواعيهما.

لم يكن المسرح هوسا مرضيا لنا جميعا، نحن عشاق المسرح، بل طريقة فهم للعالم والمجتمع والافكار.. تعلم عوني من اساتذة المسرح ابراهيم جلال وجاسم العبودي وعلى وجه اليقين، جعفر السعدي، . وهم يشكلون اعمدة الريادة . هذا الضرب من السلوك "التصوفي" المجبول من ذرات العراق البشري، وسواعد الانسان البروليتاري (العامل) لا تزحزحه قيد انملة، تلك المشتقات (العرضية) كالربح او الشهرة (النجومية).

عرفته مبدعا في مسرحية (الانسان الطيب) مثلت معه بما يمليه عليَّ الوفاء والالتزام المسرحي، مع نخبة من كبار مبدعينا العراقيين وزاملته في الدراسة الاكاديمية في جامعة بغداد، وزرته في الاردن، والتقيته مؤخرا في القاهرة، وتداعت الذكريات، والاماني في خلاص عراقنا النبيل من براثن المخططات المميتة، كان يحلم بالعودة من المانيا الى العراق، ليتواصل مع اناس احبهم واشاد بذكرهم وهم في الغالب الاعم، شباب المسرح الذين ينهمكون في (التجريب) والبحث عن لغة خطاب مغايرة للمألوف السائد والتقليدي.

يستذكر الان اصدقاء عوني وطلابه من الدراسات العليا والاولية، جهده الابداعي على صعيد الكتب والندوات واللقاءات المهرجانية ولكن الاهم منها هو اختياره لخدمة الشعب من خلال مهنة لا يجيد سواها ، هي مهنة المخرج المسرحي، الذي يطرز العرض المسرحي بهموم الناس، وقضاياهم المصيرية.

لكم تركت يا عوني فسحة خالية من جمالك الابداعي.. حين اثرت الرحيل

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي وبرتولد برخت

د. فاضل السلطاني

يعد المخرج العراقي عوني كرومي من القلائل الذين درسا برخت والمسرح الملحمي في برلين . وعندما عاد الى بلده العراق ، حاول ان ينقل تجربته ومفهومه للمسرح البرختي الى المسرح العراقي والعربي ، محاولا تأسيس العرض الشعبي من خلال النص البرختي . لان برخت يعني حرية التجريب والتجديد وعدم السقوط في المألوفية وماهو جاهز قياسا الى المسرح الارسطوطاليسي .ويعني ايضا بالنسبة الى المخرج العربي عموما ، البحث عن اشكال متعددة للعرض سواء كان في المكان او في اختيار الحكاية.

وعوني كرومي يجد دائما علاقة بين مسرح برخت والواقع العربي .فمثلا ان موضوعة الاستغلال والصراع الطبقي وخاصة الصراع مع المحتل من اجل التحرر السياسي والاقتصادي ، والتي عالجها برخت في مسرحية القاعدة والاستثناء هي مشاكل مازال المجتمع العربي يعاني منها وتجد قبولا لدى الجمهور . لان عرض مثل هذه المسرحية اضافة الى اهدافه الفنية فانه يمثل الدعوة الى الحرية والعدالة .وهي بعد ذلك عملا ذو مقولة واضحة بالنسبة للجمهور وتتوفر فيها مؤثرات التغريب التي تساعد على سرد الحكاية دون مبالغة .

ويحاول عوني كرومي ان يخلق العرض الشعبي العراقي من خلال المسرحية البرختية . ولاينقل هذا نقلا حرفيا وانما يحاول ان يمنح الاحداث والشخصيات مميزات شعبية نابعة من مجتمعه الزاخر بالطقوس والعادات والوسائل التعبيرية .

ان اختياره لاخراج مسرحية برخت غاليلو غاليليه كان نابع من فكرة المسرحية المعاصرة والتي تؤكد على الصراع بين المبدئية وبين العمل في نشر الافكار التقدمية التي تهم الانسان عموما وكذلك اهمية حرية البحث والاختيار والتفكير . لماذا يجبر الانسان على لن يتخلى عن قناعاته المهمة . او كيف يتعلم الانسان قول الحقيقة في مجتمع متخلف مبني على الزيف .واهمية الصراع بين الجمود والتطور ....الخ.

وبالتأكيد فان هذه الافكار لها صداها المعاصر في مجتمع مازال الصراع فيه قائما كالمجتمع العراقي او العربي الذي يعيش حالة من الازدواجية بين الواقع المتخلف والشعارات السياسية المزيفة .

انه يرى في مسرحيات برخت بانها القادرة على إثارة الجدل في ذات المتفرج لمناقشة الواقع او الذات الاخرى . وتثير الرغبة في التعلم وتنبه لاخطار المستقبل ، كما انها وسيلة للكشف عن تناقضات الواقع المعاش . ولهذا فان كل الوسائل الفنية تؤدي الى توصيل هذه الافكار ، ففي ديكور مسرحية غاليلو مثلا تم الابتعاد عن خلق الوهم والدقة التاريخية . والاعتماد على الإيحاء في التعبير عن الواقع من خلال الكتلة او الجزء الذي يحتاجه الممثل في عمله والذي يعبر عن واقعية الحدث ، وعدم الاستغراق في التفاصيل الزائدة والاقتصاد المطلق حيث الدلالة المسرحية لها المكانة الأولى في التعبير . واعتماد التجريد والفضاء الخالي .ولهذا فان الديكور اعتمد على الأثاث الشائع في اسلوب العمارة العراقية والمتوفر عادة في البيوت والكنائس .

ومحاولة لخلق العرض الشعبي على اساس احداث غاليلو فان المخرج عمد الى استخدام طقوس الغناء والرقص الشعبي ، واستخدام الإيماءة والحركة التي تميز الانسان العراقي .كما انه ألبس رئيس الجامعة ملابس رجال الدين في العراق اللذين يقفون ضد العلم والتقدم وبهذا فان المسرحية عرضت وكأنها نقد لكل الصفات السلفية المترسخة في المجتمع التي ترفض الحقائق العلمية .

اما الكرنفال الذي اقيم في المسرحية لتمجيد الحقيقة الجديدة ، فانه تحول الى احتفال عراقي رقصا وغناءا.

ان اكثر العروض المسرحية اثارة كانت مسرحية الانسان الطيب من ستشوان ، حيث تغلب المخرج على الكثير من العوائق لتقديمها حتى تكون قريبة من وعي المتفرج العراقي .

× ان تعدد الالهة فكرة مرفوضة في المجتمع الاسلامي . ولهذا فا ن المخرج ومعد النص المسرحي اضطرا الى تحويل الآلهة التي تأتي لتبحث عن الإنسان الطيب في النص البرختي الى شخصيات عراقية تاريخية ، بمعنى انهم الأجداد القدامى ، قد عادوا اليوم للبحث عن الإنسان الطيب في الأرض العراقية .وقد ظهرت هذه الشخصيات بملابس وسمات الإنسان السومري والبابلي والآشوري القديم الذي سكن هذه المنطقة.

× تم تحويل الطيار في المسرحية الى سائق تكسي يسعى للحصول على مبلغ يشتري فيه سيارة اجرة للعمل في العاصمة وهذاحلم الكثير من الشباب في المجتمع العربي .

× ان فكرة التبغ وزراعته مازالت قائمة في شمال العراق ، ومن هنا انبثقت فكرة ديكور العرض الذي يوحي بان الاحداث يمكن ان تقام في احدى قرى الشمال او في أي مكان اخر .

× ان ملابس الشخصيات والادوات لم تحدد مكان اوزمان معين فهي مزيج من ملابس تراثية وشعبية وملابس معاصرة تحدد السمات الواقعية للشخصية ، وان هذا الواقع الذي تجري فيه الاحداث ، هل هو واقع حقيقي ام متخيل ام محتمل ؟ ولكن احتمال وقوع هذه الاحداث في العراق كان قائما.او انها من الممكن ان تجري في بلد اخر . لقد قدم العرض على انه عرض مسرحي لحياة الفئات الاجتماعية المختلفة والمتنوعة حيث الرمز والايحاء والواقع في داخل لعبة مسرحية . وقد ساعد على الايحاء هو اللغة المحكية ومفردات اللغة الشعبية التي تعبر عن انتماء الشخصيات الى فئات اجتماعية معينة .

ان الموسيقى كانت مزيج من الموسيقى العراقية الشعبية والموسيقى المعاصرة ، بحيث كانت ترافق حركة الممثل او متابعة الحوار . وقد كانت الانارة تحاول عكس الحالة الاحتفالية ، وابراز غرائبية المشهد وتنوعه .

اعتمد التمثيل التأكيد على مؤثر التغريب من خلال التقديم وقطع الاحداث ومخاطبة المشاهدين والتعليق على الاحداث والسرد القصصي المتميز لشخصية الحكواتي العربية . وقد اعتمد التمثيل في بعض المشاهد على المعيشة وتحقيق الصدق في المشاعر وخاصة في دور الفتاة وابن عمها الذي ادته ممثلة واحدة .

ويمكننا ان نوجز كيفية فهم المخرج العربي وخاصة عوني كرومي للمفاهيم البرختية على الشكل التالي:

١. اختيار الفكرة والموضوعة المعاصرة التي تسهم في رفع وعي المتفرج حتى وان كان العرض يعالج موضوعا تاريخيا . وهذا يتطلب قراءة معاصرة للنص .

٢ . من اجل التطابق مع مفهوم المسرح الملحمي تم التركيز على الوسائل الفنية غير الأدبية لإيصال فكرة العرض كالصورة والحركة والإيماءة والصوت والحركة ذات المعنى الاجتماعي . أي الحركة القادرة على الكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية .

ان اضفاء الصفات المحلية للحركة على شخصيات اوربية تتحرك في محيط اوربي ، تؤدي الى تغريبها كما في مسرحية غاليلو . وهذا يؤكد الفهم الصائب لكيفية التعامل مع النص البرختي.او ان يعمد المخرج الى استخدام الحركة والإيماءة التي تساهم في تحديد وجهة نظر المتفرج سلفا بالشخصية .

٣ . ان تعامل كرومي مع النص البرختي يعتمد على إبراز الوسائل الملحمية كالأغنية والراوية وعدم ارتباط نتائج الأحداث بعضها بالبعض الآخر ، وهذا منهج برختي التزمه المخرج .أوالتأكيد على تاريخية الأحداث ، واستخدام الفلم والوثيقة كجزء من بنية النص كما في كريولانس او غاليلو من اخراج كرومي .لقد كانت الاغنية في غاليلو وسيلة لتغريب الاحداث مرة والتأكيد عن استقلاليتها عن الاحداث مرة اخرى ٤ . من اجل ان يخلق كرومي علاقة فهم متبادل بين المشاهد والنص البرختي فانه يعمد الى ترك المبنى الروتيني للمسرح واعتماد اماكن العمل ، كالمصانع أو ساحات البيوت ، او تقديم العرض في اماكن غير مسرحية .

ولهذا فان كرومي يحاول تقديم برخت بشكل يتناسب مع المجتمع العربي او العراقي معتمدا البساطة والواقعية بعيدا عن الافتعال . ويعمل على ان يتفاعل المتفرج العراقي مع مسرحيات برخت وكأنها مسرحيات عراقية ، قريبة من وجدانه بحيث ينتبه عند مشاهدته لها الى انه يستطيع ان يحلل المشاكل والظواهر الاجتماعية ويحاول مناقشتها ويطرح رأيه فيها

عوني كرومي.. موكب الامبراطور مرَّ من هنا!

د. صلاح القصب

ستارة كثيفة متلألئة كالجوهرة، وقد سقط عليها شعاع الشمس ، فارتفعت برقا في قبة العرض!

لا شيء عوني يستطيع ان يقدم لنا متعة كرؤية كرسيك الهزاز وذكراك التي ما زالت تلتصق بنا كمدارات جديدة.

ايها الامبراطور المسرحي المتأنق: .. الارض كلها كانت جغرافيتك المسرحية، ورؤاك تصعد كقوة البحر، وحقائق رحلتك كانت تمر عبر الثلج الماطر واشعة الشمس ..

دقت كل ساعات العالم، وكان الفراغ ينتظرك ينهمر كأغنيات أي طائر غريب.. امضي بعربتك، حلق بجناحيك الذهبيين، تسلق قرص الشمس، حرّك الليل نحو نهارات جديدة، انهمر كحلقات رقص مستمرة، لامس بوجهك وحل النهارات..

عوني كرومي !

قرأنا ما قرأنا عنك في بوستراك ملونة.

رأينا موكبك الامبراطوري يمخر كأمواج عاتية.. وكرسيك الهزاز ينتظرك هناك مثل ذاكرة تتحول ببطء لتصبح مركبا يمضي تحت النجوم.

.. من خلال ستارة المسرح، كنا نراك تتطلع الينا كمصباح يرينا ظلالا ملونة قادمة نحونا، تشق البصر، تدعونا الى عرض مسرحي لك، والى ما فيه ممن حب.

ابداعك المسرحي مر من هنا وبلا انقطاع.

وكنت تعلو كأمبراطور مسرح مذهب.. تلتمع، وتلصف كبقعة القمر الذهبية.

وفي لحظة رفع الستار، كانت الابواق النحاسية تعزف اناشيد المجد، وتدق كل ساعات العالم دقا متواصلا من اجل اشرقة فجر جديد.

القطارات الليلية، وسكك الحديد التي ترن تحت وطأة عجلاتها الثقيلة، ولمقاهي والمدن التي تخيرتها، وانت تبحث في جرائد المساء عن مسرح (الستين كرسي)، وعن الانسان الطيب والاصدقاء عبر ساعات الرحيل.. جعفر السعدي، جاسم العبودي، ابراهيم جلال، جعفر علي، ناجي عبدالامير، عقيل مهدي، قاسم محمد، حميد محمد جواد، جواد الاسدي، وغيرهم الكثير والكثير.

كنت تنتظر رفع الستار كي تسافر الى الفراغ مسرعا. وكنت تغني ويداك تلتقط الازاهير التي تملأ طرقاتك كلها..

وداعا ايها الشعاع المتألق

وداعا يا جدول المدن التي زرتها

وداعا يا كراسي الستين

وداعا يا اشعة الضوء

وداعا يا بهجة كل العصور

وداعا يا وشم المدينة

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي وأنا في احتفالية عرض مسرحي

تداعيات و ذكريات عن (صراخ الصمت الأخرس)

محيي الدين زنكنه
مسرحي راحل

– الىوم إذ أعود إليها ، بعد ما قرات وشاهدت ... كل ماتسنني لي من كتابات بيكيت ويونسكو واربال وشحاذة و ألبي وجينيه ووو الى اخر من يندرج ، او اعتاد النقاد درجه ، تحت اسم اللامعقول او العبث او الطليعية أو ... او ... أو.. أحس بقرب محاولتي الى نفسي وإنها مظلومة .. فاشعر بحب خاص لها بين جوانحي .. ينمو .. ويكبر و لاارى اي مسوغ لرقادها الطويل ، موءودة .شبه مخنوقة بين طيات اكداس الاوراق القديمة والجديدة .... والاتربة التاريخية والمعاصرة اعني الىومية المتجددة والمضافة الىها كل يوم . فقد يكون بوسعها الوقوف على قدميها ، بلا عكازات ولا مساند ... وقد تتمكن ، تلقائيا ، من تنفس هواء العصر ،كأي كائن حي . ثم .... لابد لي بعد كل شيء او قبل كل شيء ... ان اقر واعترف بحقها المشروع في الحياة وعرض نفسها امام الاخرين بكل حرية واستقلالية ومن نافلة القول ، القول ، ان للاخرين ، الحق كل الحق ، في تاسيس العلاقة التي يرتأون معها . سلبا او ايجابا . وايضا ... بالحرية كلها والاستقلالية الكاملة

– قد تكون " صراخ الصمت الاخرس " ابتداء من عنوانها – ذي الكمات الثلاث ... وما فيها من تناقض واضح ...الصراخ / الصمت ... او ترادف ... اعني توافق ... الصمت / الاخرس ...ثم خلوها التام . من عنصرين من عناصر الكلام ... الفعل ... والحرف .. ومن نقص – بالمعنى اللغوي والنحوي –ضمن السياقات المالوفة . حيث لابد للمبتدا من خبر . وهنا .. لاخبر .. وانما فقط مبتدأ مضاف ثم مضاف الىه ..ونعت ...يحتمل وجهين .. ان يكون نعتا ..للمضاف الىه ... حيث كلاهما معرف ب(أل) .. الصمت / الأخرس .. مثلما يمكن ان يكون نعتا للمبتدأ ... المعرف هو الأخر .... اذ اكتسب التعريف .. من اضافته الى معرف .. مما يمكن التصرف به توضيحا على النحو الاتي : الصراخ الأخرس ... وفي كل الاحوال يبقى التناقض قائما ... ويبقى المبتدا بلا خبر ويبقى العنوان مع اغفال ما فيه من غرابة ، ناقصا ... من وجهة نظر النحاة ، على الاقل – اقول انها ابتداء من العنوان ، حتي اخر سطر فيها .. من أكثر كتاباتي . ان لم تكن اكثرها بالفعل .انفلاتا من الوعي المبرمج الموجه ... والموجه . وتمردا على ضوابطه ومستلزماته .. واغلاله .. الظاهرة والخفية او المخفية . ومن سياقات اللغة المعتادة والمألوفة ... لا بمعنى الإخلال بقواعد اللغة الاساسية .. وانما بمعنى .. استولادها ، ان صح التعبير ، والاجتهاد في اشتقاقات جديدة .. لبعض المفردات ... او نحت بعضها من البعض او الوصول الى تركيبات ... مما قد لايستسيغ الكثيرون تركيبها . بيد إنها هنا تحاول ان تكون لغة الشخصيتين الرئيسيتين وليست لغة الكاتب وما تقتضيه هذه اللغة مما يمكن .. ان نسميها بالغرابة او اللامطروقة على نطاق واسع او ضيق في الاقل. على الرغم من ذلك . وربما بسبب ذلك . قد جاءت من اشد كتاباتي ، تعبيراً عن الوعي وقدرة . او مكراً . في اخفاء هذا الوعي و الاعلان عنه . في الوقت نفسه . بين سطورها . وكلماتها ايضاً .. وكل ذلك تحت ((كم)) هائل من الثرثرة التي تبدو ان لاطائل تحتها .. ولا قصد .. و لا هدف ... و لا مرمى .. ففيها .. وفي كتابات اخرى مايزال معظمها مؤودا . غير معروض ولا منشور .. تركت القلم يجري فوق الورق .بنقش . يخط .. يحفر بمعنى اشمل يتنفس على سجيته و في عفوية تامة لا مؤ طرة و لا محددة .. وتركت نفسي ((روحي و عقلي)) بكل ماتزخر به من عواطف ومشاعر واحاسيس واحلام .. ومن خزين معرفي واخلاقي قل أو كثر – ومن معايشة عملية وفكرية و... وجدانية للواقع ... ومعاناة يومية وعذابات تلهث خلف (القلم) الذي يقودها الى حيث يشاء هو .. لاحيث تشاء هي الى عوالم ودنيا وفضاءات وتضاريس وخرائط ... وقارات .. لا اعرف عنها شيئاً أي شيء قبل الاقتراب منها ومن ثم دخولها .. واكتشافها و التعرف على اجوائها امراً واضح او حقيقي ... او يقيني في رحلة شاقة .. مؤلمة ... موجعة .. ولكن في الان نفسه سعيدة ولذيذة .. وذات متعة خاصة – خاصة جداً لم اعش مثلها قط ولم اذق طعماً شهياً لشيء بهذه النكهة .. التي ماتزال في الحلق ، بالرغم من قصر مدتها ، قياساً الى كتابات اخرى .. ابتلع زمن الاشتغال علىها والفراغ منها ، او ما يشبه او يقرب من الفراغ منها ـ فلم يحدث ان اعتبرت نفسي قد ... فرغت من عمل ، أي عمل ،حتي ذلك الذي نشر في كتاب او عرض على مسرح . اذ تجرفني الرغبة في ان اكتبه مجدداً ، لو استطيع .. ((ولكن ليس كل ما يتمني المرء يدركه)) – سنوات و سنوات دون قطرة واحدة من المبالغة .. بينما لم تستغرق رحلتي في ((صراخ)) مجاهله ..سوى ثلاثة ايام .. اجل ثلاثة ايام فقط ، لكن بمعدل ست او سبع ساعات ، واحياناً عشر ساعات من الليل والنهار ، ومن النهار و الليل – ومن اللهاث و الجري و النشاط المحموم والعمل المتواصل ... وغير المقطوع الا لضرورات اقوى من الجسد المنهمك على التحمل و الاستمرار ... وكانت الحصيلة عشرات الصفحات من الحجم الكبير .. ((فلولسكاب)) وعشرات الالاف من الكلمات ... و ... وشخصين فقط ... كليهما بلا اسم ... و لاتاريخ ... و لاهوية ... لايعرف لهما ماض ... و لايبدو ان لهما مستقبلاً ... وربما لهما كل اولئك واكثر ... مما قد يتوصل لها القارئ او المشاهد – كما امل – اذ يشحذان خيالهما ... ويحلقان به.. إلي ما وراء الكلمة وما وراء المنظر .. فيدخلان تخوم الخلق المشترك .. ويتحملان السباحة في بحر العذاب الواحد .. ولايكتفيان .. بالتلقي حسب .. عبر المعاينة فقط او ألمشاهده . دون التأمل .. والنفاد الى ما بعد الصورة . لم اطلق علىهما ا((على الشخصين الرئيسين في العمل)) أي اسم .. خلافاً لكثير من كتاب المسرح او القصة او الرواية .. وخلافاً للكثير من كتاباتي الشخصية على هذه الصعد ايضاً ... فقد اكتفيت ان أطلقت علىهما ، اسمين رقميين ... او بالاحرى صفتين رقميتين – هل انا من فعل ذلك .. ام هما اختارا ذلك .. واطلقا على نفسيهما ذينك الاسمين ... ام تينك الصفتين ؟ (الاول والثاني) ؟ يتحاوران ... يثرثران احياناً بصورة متبادلة واحياناً – بصورة متقطعة .. من جانب واحد – كل من جانبه حسب ... ومع نفسه فقط ، حوار البكم والصم – مع انهما ليسا ابكمين و لا اصمين – يعانيان – يتعذبان ، يفرحان .. ييأسان .. يتفاءلان .. يتخاصمان ... يتصالحان ... يغضبان ... يهدءان .يتباغضان يتحابان .. يتعانقان .. يتفارقان .. يتماسكان ، من بعضهما يتنافران ، باختصار يمثلان او يتقمصان . او بالاحرى .. تتقمصهما .. وتتلبسهما مئات الحالات و المواقف المتباينة المختلفة و تنتابهما عشرات المئات من الافكار المتآلفة و المتناقضة ، و الحالات النفسية و الواقعية المتطابقة و المتقاطعة .. دون ان يعرف أي منهما . لاي من تلك الحالات او الافكار .. او الاوضاع .. سبباً .. او يفكر بايجاد سبب ما لها ... ودون ان يتعمد او يسعي بقصدية، الوصول الىها وتحقيقها مع صاحبه . او صديقة الحميم حيناً .. وعدوه اللدود حيناً اخر ... ومن غير ان يعرف ايضاً دافعاً للصداقة المتحققة بينهما الى الحد الذي يحمل كليهما على البكاء اذ يفكر احدهما بفراق الاخر ..دون ان يعرف أي منهما موجباً للعدواة التي تجثم بكل ثقلها بينهما .. الى حد .. الضرب بالركلات او او بالصفعات .. والتهديد بالفراق الابدي .. و الحال نفسها تنبطق على القارئ .. و المشاهد .. بل على الكاتب ايضاً دون ان اعدو الحقيقة .. واذا كانوا كلهم ، قد يعرفون سبباً او بضعة اسباب ، لبعض تلك (الحالات) فانهم بلا استثناء ولكن بتفاوت ما فيما بينهم .. يجهلون .. او لايعرفون تحديدها .. او التنبوء بها .. او التكهن بمسارها .. ويعجزون عن التخمين حتي التخمين .. بما ستؤل إليه الأحداث (هل ثمة احداث ؟ أسرع فأقول اجل .. ثمة احداث .. مئات الاحداث . والحوادث و المواقف التي يمكن ان يستثمرها المخرج النابه لصالح الدرامية بصورة جازمة) وذلك ما يجعل القارئ و المشاهد والكاتب نفسه في شوق لتتبع ما سوف يحدث . والشوق لاكتشاف كل

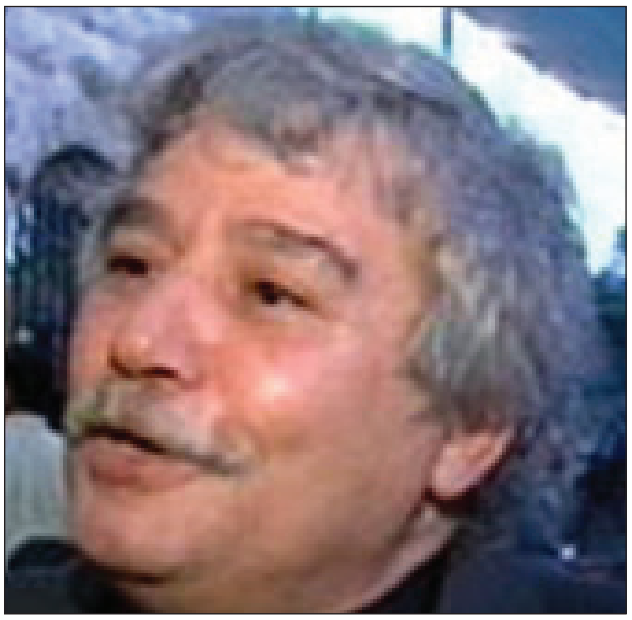

ما يزال مجهولاً .. عنده .. وفتح كل ما يزال مغلقاً امامه .. وبذلك يتحقق التلقي الايجابي ، الفاعل ، المساهم .. بل المشترك في الخلق .. و في حالة خاصة من استيقاظ الوعي واستحضاره بكل تأرىخيته .. ومخزوناته المعرفية والجمالية .. وشحذ الخيال .. الى ابعد مدى الى حد التحليق .. فوق المألوف ، وعبره ، لاكتشاف غير المالوف .. في شوق ملتهب متأجج – ولكن دون ان يحرق العقل او يعطل الوعي .

٦– الأول والثاني .. كما ذكرت .. ليسا شخصيتين بالمعنى المألوف لبناء الشخصية الدرامية وقد لا يكونان كذلك بأي معنى من المعاني لا الارسطوطالىسية و لا البريختية .. لا الكلاسيكية و لا المعاصرة لا الطليعية و لا الحداثوية .. و لا المستقبلية و قد .. يكونان كذلك على وفق معنى من المعاني المذكورة ! او بمعنى .. اخر .. من المعاني التي لم يرد ذكرها فيما سبق ، ولكن أي معنى هو ؟ اين هو ؟ ما حدوده ؟ ما منهجه ؟ ما اصوله ؟ ما افاقه ؟ ما .. ؟ ما .. ؟ اعترف باني لا أدري .. لأني بمنتهى البساطة والبراءة . لا اعرفه .. و لا أستطيع تحديده . او على الأقل .. لا أستطيع ذلك ألان ، وامتلك الجرآة . بان أعلن باني عاجز عجزاً تاماً ، عن ذلك واني قد اعرفه و استطيع الحديث عنه ، ذات يوم ، وقد لا اعرف و لا استطيع ما حييت ، واني لست فخوراً بذلك .. ناهيك عن كوني متاسفاً علىه . وكذلك لم احفل ، أو بالا حري لم يحفل العمل نفسه ، بمقدار الاقتراب أو الابتعاد عن البناء الأصولي .. للأجناس الأدبية . مثلما لم يفكر ولم يخطط للدخول في ، او الخروج عن ، القانون الأساسي ، او القوانين الأساسية ، للأعمال الإبداعية ، التي تتمثل فيها بهذا القدر او ذاك ، المسرحية الرواية . القصة . القصيرة . اللوحة . الموسيقي . وحتي المقالة والبحث والدراسة .. و .. و .. سواها .. مثل : العرض . الصراع . الحبكة . الذروة .. وشروط طالىس ، وغيره ، في ضرورة توافر الوحدات الثلاث ، وحدة الزمان . و المكان . والموضوع .. وحتي مدة العرض .. والى أخر ما يشترطون وجودها مما يرون من الأساسيات والضرورات" التي تؤدي الى تحقيق الدرامية " الدرامية الشعرية ، بوجه خاص . باعتبارها العمود الفقري لكل منجز فني إبداعي .. والتي أسعي إلي الوصول إليها وتحقيقها ، في كل من أعمالى ، طبعاً ، بتلقائية وعفوية .. ومن غير التزامية صارمة او قدسية . إذ لا قدسية في العمل الإبداعي ، لغير .. الإبداع و "كم " الإبداع – إن صح التعبير – وتمكين العمل . على خلق وابتكار قوانينه الخاصة من داخله .. على وفق جدليته الذاتية و الموضوعية.

لا أقول باني لم احفل ، بكل ذلك ، او ببعضها ، بقدر ما من التفاوت في الاهتمام ، لأني ارفضها ولا أؤمن بها فأتعمد إهمالها... لا.. ابدا . إنما لان العمل (عملي هذا تحديدا) قد جاء هكذا ، خاليا منها كليا او جزئيا . او حاويا علىها كلها ، او على بعضها .. وبدرجات متباينة .. واني لم افرض علىها شيئا أي شيء . إذن ليحسبا على ما يحسبان ، على ما يمكن ان يحسبهما) ا لقارئ ، يدغدغني أمل ضعيف أن أضيف و المشاهد ايضاً ، والدغدغة ، الحق اقول ، قوية على عكس الامل نفسه .. ولا استطيع ان أتكهن إلي أين يمكن أن يؤدي .. لم استرسل في ذكر تفاصيل كثيرة عن الشخصيتين (الاول و الثاني) فيما يتعلق بالطول او ،العمر، او الملامح ، او الصفات .. او الملابس او .. او .. او .. ما عدا كون احدهما مقطوع الذراعين وكون الاخر سليماً .. من الناحية البدنية .. تركت كل تلك التفاصيل لفعل الخيال و ابداعه وقوته .. وقدرته على التحليق في فضاءات التصور و الخلق .. خيال القارئ .. وايضاً خيال المخرج .. ان تهيأ لهذا العمل الغريب ، من بين اعمالى ان يظهر مخرج .. قد يغامر ويقدم على تجسيده .. فوق خشبة المسرح .. او فوق بقعة من الارض .. وايضاً خيال الممثل – سيد العمل – امام الجمهور وخيال فنان الديكور ومصمم ألأزياء . والسينبوغرافيا .. والموسيقي و .. و .. و .. ان كان ثمة ضرورة فنية لهولاء الاخرى

يتوجب على ان اقول لهذا السيد ، اعني المخرج / المغامر ، إن كان موجوداً او يمكن ان يوجد ذات يوم (وقد وجد فعلاً في شخص المخرج الكبير الفنان عوني كرومي) اني افضل ان ارى الاول والثاني فقط فوق الخشبة ، اما العامل و السيد و السيدة ، وكذلك المخبز و الشجرة والسيارة و العمود .. فاني افضل ... تركهم خارج الخشبة ، وان يعمل الممثلان على تجسيد كامل في تحقيق حضورهم فوق المسرح بقوة الاداء ، وتكثيف هذا الحضور على نحو حي ، متفاعل ، معبر ، لامعهم حسب ،وإنما مع الجمهور ايضاً وبالقوة نفسها ، عبر طاقتهما الإبداعية ... الا اذ كان للصديق المخرج المغامر ، الذي قد يتصدي للعمل ... رؤية اخرى .. تخدم العمل على نحو افضل ... واجمل ... وابدع ... وتمنح عمله الفني .. اذ سيصبح عمله ، قيمة جمالية اكبر .. وذائقة اطيب . (و هذا ما كان فعلا اذا عمد عوني الى حذف كل أولئك – غير مأسوف علىهم – مستغنيا عنهم كليا و حتي من دون

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

أية إشارة إليهم و هذا الأمر بحد ذاته يعد إضافة أخرى من إضافات عوني المبدعة التي أضافها إلي الأعمال المسرحية التي أخرجها ، أو بالأحري التي قدم لها قراءة مرئية خلاقة تنهل من نبع خزينه الثقافي و الإبداعي

٧- ما الذي اردت ان اقول في هذا العمل ؟ او في هذه الكلمات / الثرثارة .. التي تدفقت من قلمي وسالت على هذه الصفحات . مثل ثرثرة (الاول والثاني) التي تبدو غير مطهرة من جراثيم العدوي ، تماما ؟ . لا ادري ... صدقوني لا ادري !! ربما اردت أن قول اشياء كثيرة وهامة ... ولكني فشلت وربما لم أرد أن أقول شيئاً ... ونجحت .. ربما يكون بوسع المخرج / المغامر او المغامر / المخرج ، ان يقول خلال العمل ، الذي سيصبح عمله هو ، وعلى ضوء هذه الكلمات / الثرثارة ، او بدونها ... اشياء اهم و اعمق و .. وينجح او لايقول هو الاخر .. شيئاً ذا قيمة .. ويفشل . قلت ذات مرة ، ان فضيلة العمل الفني ، أي عمل ، تكمن في قدرته الذاتية على التعبير عن نفسه بنفسه ، بوسائله الخاصة ، النابعة منه ، او المستنبطة من موحياته والهاماته ، والكاتب ، يقول كل مايريد قوله ، او جل ما يريد ، زمن كتابة العمل ، في العمل نفسه واذا فشل (العمل) في التعبير عن نفسه بنفسه .. أعني بمكنوناته الداخلية ، وتوجيه خطابه الفني والجمالى بلسانه فكل ما سوف يقوله الكاتب عن عمله من خارج العمل ، لا يعدو الا ضرباً من العبث ومجموعة عكازات هشة مرضوضة ، عاجزة عن وقف العمل على قدميه ناهيك عن حمله والسير به ... الى قلب القارئ والمشاهد ... وعقلهما

(ولكن ماهو هذا العمل ؟)

اهو مسرحية ؟ رواية ؟ حواريةة؟ قصة ؟ مجموعة قصص متداخلة متشابكة مع بعضها بعضا ، سيل او سيول من افكار ومشاعر واحاسيس مندلقة بلا ضوابط .. وبلا حتي ضابط او كابح واحد ؟ ام ...ام ...ام ...؟ ؟؟

لم احفل ومازلت غير حافل كثيراً ، بالتسميات ... ! لتحسب ، على ما يمكن أن تحسب ، حالها حال بطليها (أهما بطلان حقاً ؟) على كل ما ذكرت ، او على بعض منها .. او لاتحسب على أي منها ، وليحسبها من يريد ان يتعامل معها قراءة ، او مشاهدة .. على مايشاء او على لاشيء اطلاقاً ، سيان ، ولكن في كل الاحوال وبقدر تعلق الامر بي شخصياً لا استطيع ان انكر ... بان شعورا عميقاً عارماً بالفرح اكاد اقول الزهو - قد شملني ممزوجاً بقدر كبير من راحة جسدية ونفسية ، حال فراغي من وضع اخر نقطة فيه .. الا اني وبالرغم من كل ذلك الحب والاهتمام به والانشداد الشخصي اليه ، قد ركنته جانباً كما ذكرت - لإحساسي بالىأس التام من إمكانية إظهاره على الناس ، تحت أي شكل من أشكال (الاتصال الجماهيري) كما يقال .. اعني ككتاب .. او نشره في مجلة .. ناهيك عن تجسيده على المسرح

حتي - كان عام (١٩٨٤) .

٨- ففي عام ١٩٨٤ - أي بعدما تكوم فوق المخطوطة عشرون عاماً ، اطلعت عيلها ، من جملة القلة من الاصدقاء الذين أطلعتهم ، الصديق الفنان عوني كرومي ، وانا .. اعرف مسبقاً ان عوني قارئ فنان من نمط اخر ... وان قراءته لاية مادة هي قراءة خاصة ، ذات بعد فني وجمالى ، فرحت ارقبه ، عن كثب ... حينما بدأ يتصفح المخطوطة الضخمة.... انعكس الاهتمام على ملامحه ... ولم يلبث ان تجاوز بقدرة قادر ... رعبه المشروع من حجمها ، وعدد صفحاتها الملغومة بالاف الكلمات . شرع يورقها بدقة وأناة .. فتوجس قلبي الخيفة ، اذ توقعت انه ، وبما .. اعهده فيه من الصدق والصراحة والبعد عن المجاملة . سيعيدها الي مشفوعة بابتسامة إشفاق . ضنينا بوقت يُهدره بلا طائل ... وأسفا في الوقت نفسه على ما اتلف صديقه (محي) من الزمن والجهد في تسويد هذا الكم الهائل من الصفحات .. ويا خسارة الوقت والورق ، مع ان الورق ، كان حينذاك ، مبذولا، الى حد ما . ولا يعاني من الازمات الخانقة ، وسعار الاسعار ، التي بات كل شيء يعاني منها .. عدا الانسان الذي شرع (سعره !!) اعني قيمته في انخفاض مستمر ! إلا .. انه على الضد من توقعاتي او هواجسي ومخاوفي .. الفنية قد استغرق في القراءة " قراءة بانتوميمية " ان صح التعبير .. اذ كان لايكف خلال القراءة عن تحريك يديه وحاجبيه ... وشفتيه .. ونفث الدخان ، كمدخنه مصغرة ، من فتحتي انفه تارة ومن بين شفتيه تارة اخرى ، وهو يشعل سيجارة جديدة من سجياره لما تقض نحبها بعد ، وانا من جانبي ، اقرأ تلك الملامح المتغيرة و العلائم المتبدلة في وجهه .. وحركات رأسه وعينه ... فبدت لي انه يؤسس في داخله ... مشروعاً .. لتجسيد ما يقرأ من افكار واقوال وثرثرات الى افعال وحركات مجسدة مصورة ، وهو يواصل التهام الصفحات المئة ، وسرعان ماقرر اخراجها على مسرح(الستين كرسياً)... واعطي اوامره الأخوية إلي الإخوة من فناني مسرح اليوم .. والمسرح الشعبي باستنساخها ... وتقديمها للاجازة ... من ... دائرة الرقابة ... و الاجازة وما ادراك ما الاجازة !! والرقابة وما أدراك ما الرقابة !! ... ام لعلك دار بهما ... وبيروقراطية القائمين علىهما والمسؤولين عنهما .. حيث لا يفلت من المقص حسب ... كما اعتدنا ان نقول او نسمع .. وانما من بين الانياب التي تفترس النصوص .. ثم تلفظها .. او تبلعها بكل ما فيها وتمضغها ... ببساطة . من قبل مجموعة من كتبة جهلة ... سلطويين الى حد النخاع .، على اية حال ... فبعد لأي وجهد ... واعاقة وعرقلة . وبجهود جبارة من عوني نفسه واصراره وصبره السيزيفي الهائل ... استحصل الموافقة او الاجازة .. ولكن عشرين صفحة فقط من مجموع مئة صفحة .. بيد ان أيوبية عوني و الكادر الفني من الفرقتين كلتيهما ... لم تنثلم ... وانما اصر الكل على تقديم المسرحية ولو .. عشرين سطراً منها حسب ...

هنا يأتي دور الفن ... وذكاؤه او مكره في القدرة على التنفس و لو من خرم الابرة وتنفست (صراخ الصمت الاخرس)من خرم الابرة ... التي استطاع كل العاملين فيها ، من فنانين وفنيين ... توسيعها وجعلها بسعة فضاءات الروح .. و الحب ... روحهم .. وحبهم ... اللذين لايحدهما حد وتضمينها وتبطينهما ... والجهر خلالها بذكاء ومكر ، بكل .. ما تزخر به نفوس الجماهير . من الرفض و الادانة والكراهية ، للحرب .. بكل صنوفها .. الحرب المعلنة ضد ايران .. وغير المعلنة .. والاشد ضراوة وشمولية ضد الشعب برمته . مما لسنا بصدد الدخول في تفاصيلها الان .

٩- وعرضت المسرحية (مسرحية -صراخ في الصمت الاخرس) اواخر عام ١٩٨٦ وتكرر عرضها اكثر من مرة ... بل مرات ومرات .. وشاهدها عشرات المئات من المشاهدين و المتابعين والمهتمين بشؤون المسرح و الثقافة .. وصادف عرضها مع مهرجان المسرح العربي في بغداد ، وبادر عوني . صاحب المبادرات الذكية الى دعوة جمع غفير من الفنانين العرب ، القادمين من سائر الدول العربية حتي ضاق بهم المكان الضيق اصلاً ... وكان سعيداً من وجد بضع سنتمترات من الأرض ليقف فوقها ، وحقق العرض نجاحا مذهلاً وتفوقاً على سائر عروض المسرحيات المشاركة في المهرجان ، واستغرب بعض الفنانين العرب واستاء اكثرهم ، من عدم مشاركة هذه المسرحية في المهرجان وعدها احد العروض الرئيسة ، او على الاقل من العروض التي تدعي ((على هامش المهرجان)) (ولكن من يدري يدري ومن لا يدري قبضة عدس) - على حد تعبير المثل الشعبي المعروف . المهم .. كان العرض و العروض التالية ... ولأيام عديدة .. عديدة . عرساً أو أعراسا للمسرح وجمهوره . .

كتبت عنها عشرات المقالات والتحقيقات و المقابلات و لا تزال تكتب حتي ألان إذ ما ان يذكر الرائع عوني و تذكر ابداعته الخلاقة حتي يذكر (صراخ الصمت الأخرس) كواحدة من أهم انجازاته الفنية و إضافاته إلي صرح المسرح العراقي و أيضا إلي تراثه الفني الشخصي .. واثارت اشد انواع الجدل و النقاش والصخب والضوضاء .. بين رضي وسخط ورفض وقبول واستحسان واستهجان ..

و قد تعرض كادر العمل الى مضايقات كثيرة مما يضيق المجال عن ذكره ، فرادي .. او جماعات .. وعلى مستويات مختلفة ، متباينة .. بيد انها .. لم تُدخل أليأس في قلب أي منهم .. بل زادتهم إصرارا على تقديم المسرحية وتعلقا بها .. وتصميما على استمرار عرضها . في اية فرصة .. في أي مكان ..

فهؤلاء الذين جعلوا " خرم الابرة " بسعة الفضاء .. لا يتراجعون .. ولا يترددون ...

وبلغ من شدة تعلق عوني وكل فريقه بها .. وشغفهم .. ان اعادوا عرضها في جمعية التشكيليين العراقيين . بعد زمن قصير حسب . وبامكانات بائسة شحيحة .. كما كان شأنهم في عرضهم ألأول ..

وبعد أعوام .. في عام ١٩٩١ أعاد الفريق نفسه عرضها .. خارج العراق هذه المرة في الاردن .، في افتتاح فرقة مسرحية أردنية جديدة (المسرح الشعبي ألاردني) ،، فكان عرضهم حقا .. فتحاً جديدا.. وتجديدا للمسرحية نفسها . وإبهارا حقيقيا للجمهور ألأردني .. وتألق في العروض كافة .. الممثلان الكبيران . رضا ذياب و رائد محسن - أيما تألق .. مثلما .. تالقا .. في سائر عروض بغداد .

وبعد خمسة عشر عاما .. من عرضها الاول .. ظلت المسرحية حية في ذاكرة .. الفنان عوني .. اذ انه وبعد ما .. انطلق .. من اساره في العراق المكبل أنذاك بالاغلال وبانفاس المخبرين واذانهم .. وغادر قفصه .. طائرا حراً ، طليقا في فضاءات الحرية والابداع والجمال والانسان .. اعاد عرضها مرة اخرى .. او بالاحرى .. اعاد خلق عرضه .. من جديد وهذه المرة في المانيا .. في قلب المانيا - برلين العاصمة - عام - ٢٠٠١ - مع مجموعة .. من الفنانين الكرد الذين عاشوا حتي النخاع ماسي الشعب الكردي والكوارث التي لحقت بهم او بالاحرى لم تكف عنهم يوما ... فوجدوا .. فيها .. مأساتهم القومية و الوطنية و الشخصية في افقها الإنساني العام .. وايضا صمودهم وتحدياتهم وبطولاتهم .. فاحسوا - اسروا لي شخصيا ، في لقاء شخصي معهم ، بعد سنوات- انها كتبت من اجلهم وفي سبيل قضيتهم التي ترافقهم .. مثل الدم الذي يجري في عروقهم .. مثل هواء كردستان وجبالها وناسها وجمالها وشمسها التي لا تغيب .. عن ناظرهم .. ولاعن الكون .. وكم كانت سعادتي بهم كبيرة وبلا حدود .. بكل هؤلاء .. المنضوين .. تحت جمعية ، " ره فه ند" الثقافية.. الكردية في ألمانيا -المركز الثقافي الكردي ، وبكل تلك النخبة الرائعة للشباب المبدعين .. ببطلي المسرحية الممثلين المبدعين عمر توني .. وموفق رشدي .. وبكل الفنيين والمبدعين في الجمعية . الذين أعادوا المسرحية الى لغتها الكردية .

وإذا كان ثمة أسف يحز في نفسي فهو إني لم أتمكن .. وما كان يمكن اَن أتمكن .. في ظروف ٢٠٠١ اَن أشاهد مسرحيتي .. واَن أعانقهم على المسرح واقبلهم واحدا واحدا .. واذا كان شريط الفيديو - الذي اهدوه لي .. واللقاء الحميم معهم أواخر عام ٢٠٠٣ .. قد خففا بعض الشيء .. وقع ذلك على .. فانهما مع كل اعتزازي بهما لا يُشبعان طموحي .. طموح مؤلف .. يود من أعماقه أن يعيش احتفاء .. أهله .. بما كتب ويكتب

ولم يكتف عوني . بكل هذه العروض !! " فدودة " صراخ الصمت الأخرس .. ماتني حية .. تتحرك فيه .. وهو يحبها .. يمنحها المزيد من العشق وغذائه الروحي الدسم .. ويوسع .. ما يستطيع .. لا من خرم الابره هذه .. المرة .. او هذه المرات .. وإنما .. من الفضاء نفسه .. فحمل نفسه وفريقه الكوردي .. وعمله في قلبه .. وطار بهم .. الى هولندا .. أواسط عام ٢٠٠٤ .. وعرضه .. للمرة ..؟ .. للمرة الكم ؟ لا ادري - ربما بعشق المرة الأولي وشفافيتها وإبداعها ، و هذا هو الأهم، .. ولكن بتراكم الخبرة والتجربة والمعرفة المضافة .. لسائر المرات السابقة ..

هل اتاسف مرة أخري .. لأني لم أشاهد .. ولم يكن بوسعي ولا يمكن ان يكون أن أشاهد .. العرض .. ؟

أكون غير صادق إذا لم اقل .. إن خيطا من الأسف .. يتخلل .. بحار ابتهاجي وسروري. و .. أخيرا .. وليس أخرا .. كما يقال .. ترجمت المسرحية إلي أكثر من لغة .. وكتبت عنها مقالات .. بأكثر من لغة أيضا .. وعرضت .. بأكثر من لغة .. ومن قبل أكثر من فرقة .. وفي أكثر من بلد .. ومن مدينة . وفي عرضي برلين وهولندة .. استطاع فريق العمل .. ان يستصرخ الضمير الإنساني الأوربي ..ضد حروب الابادة التي كان النظام الدموي الاسود يشنها ضد الشعب الكوردي .. من (الانفالات) .. والتشويه العرقي. للمدن الكردستانية .. عبر التهجير القسري ، للساكنين القاطنين فوق اراضيهم .. المالكين الشرعيين والطبيعين لها منذ آلاف السنين .. وادانته المحرقة البشرية الجماعية التي اقامتها الحكومة في حلبجة في جحيم الاسلحة الكيمياوية الفتاكة .. وممارسة الجينوسايد .. بابشع مظاهرها التي راح ضحيتها واحترق بنيرانها أكثر من أربعة آلاف انسان.

١٠ - و..

عود.. على بدء.. ما الذي اردت ان اقول من كل ما قلت .. وكتبت..و.. لماذا..قلت وكتبت.. بصراحة لم اقل ما قلت . ولاكتبت ما كتبت بتاثيرات العدوي من فايروسات(الاول والثاني) في الثرثرة والهذيان ، بالرغم من انهما وينبغي الا انكر.. قد جعلاني مهذارا الى حد ما على طريقتهما في الهذر . ولاتباهيا او تواضعا واني ابعد ما اكون عن التقليل من قيمة كتاباتي عموما . وهذه الكتابة بالذات خصوصا.. بعدي عن تعظيمها والمفاخرة الجوفاء بها .. وانما سقت ما سقت .. كوقائع تاريخية تتعلق بحياة..نص.. منذ الولادة حتي البلوغ اعني شبه الاكتمال والقدرة على الوقوف على قدميه ، بقدرة فنان قادر مبدع مثل عوني كرومي فوق الخشبة المقدسة .. مطمح كل عمل مسرحي والخروج من الورقة البيضاء (والسير حثيثا) الى قلب القارئ وعقله . وايضا كهم من هموم الكتابة اللذيذة بالرغم من اوجاعها واهوالها . وكشذرة من شذرات تجربة ذاتيه / واقعية قد تنطوي على بعض ما ينفع الاخرين .. من المكتوين بنار الكتابة .. والمحترقين بها (من غير ان يفنوا في حممها وبراكينها ، و قبل ان يفنوا و ينتهي امرهم) فلعلها .. تغري البعض بالاحتفاظ بالاوراق القديمة . المسودات . الشخبطات. الإفرازات و الإرهاصات الأولية .. باختصار .. الولادات الناقصة !! ناقصة التكوين في منحي ما. من مناحي البناء او الاساس او الفروع او التكوين. وعدم الاسراع بالتفريط بها.. والاجهاز علىها.. او اجهاضها.. وثالثاً.. وليس اخيراً .. لعل فيما قلت .. عكساً لجانب صغير . من جوانب الظلام المد لهم ،الذي ظلل جاثما لسنوات طوال ، تغذيه وتكدسه، وتزيد من عتمته وقتامته،يوما بعد يوم..رامية الى خنق أي بصيص من النور يمكن ان ينبثق.من مكان ما ..فتخترق هذه الظلمات ..وكيف استطاع فريق العمل في " صراخ الصمت الاخرس" وفرق اعمال اخرى .بذكاء الفن ومكره، من اختراقها .. واشعال شمعة نص على المسرح بعد اكثر من ثلاثين سنه من انجازه .. وكيف استطاعت مجله كورديه مرموقه رصينه تصدر ثلاث او اربع مرات في السنه ،في كوردستان ..تدعي "به يفين" أي- الحوار-ان تبادر الى نشر هذا النص ،بعد اربعين سنه من ولادته ..كاملا ..للمره الاولي في تاريخ حياته ..

١١- وختاما ...

الى عوني و ابداعته التي تستقي اشراقاتها من معين الواقع و ينبوع الناس و الحب الذي لا ينضب و هو الذي عرفته لا يتقيد بشكل جامد او بمنهج واحد للإخراج فانه ليس من نمط المخرجين أصحاب النظرة الواحدية الى العمل الفني او المنهج الواحد الموحد لسائر إعماله و انما يكتشف أسلوبه الإخراجي و نهجه الفكري و شكل العرض او بالاحرى يبتكر كل ذلك و يخلقه ، من مكونات النص نفسه و من رؤاه الجمالية و الفكرية الفائقة ، و من ذائقته الفنية الراقية

فأليه و إلي كل أولئك المغامرين الشجعان .المحلقين باجنحه الكلمه اللامر ئيه وعلى ضوئها المشع الوهاج ابدا ..الى ما وراء الكلمة .

السائحين دائما في فضاءات الفعل والحركه والصوره ..

الباحثين ،على الدوام بمصباح ديوجين عن الخارق والمدهش والا مالوف . الرائين بعيون الجواهري (الجواهرجي) النافذة والخارقة .. وهج الذهب بين أطنان التراب .. و شعاع النور بين طيات الظلام.

الى كل اولئك الذين منحوا صمتى الأخرس وصرخاته الصماء المكبوته ..صوتها المدوي ..هنا ..وهناك..وهنالك..ووهبوا كلماتي المخنوقة الموءوده..حياتها الضاجه ب..الحياة ..الجديرة بان تحيا ..

الى الفنان الخلاق عوني كرومي ..والى الفنانين العملاقين رضا ذياب ورائد محسن..

والى كل احبتي في فرقتي مسرح اليوم ..والمسرح الشعبي والى اخوتي الرائعين في جمعية (ره فه ند) الكورديه في المانيا ..الى الجبلين الشامخين ..موفق رشدي ..وعمر توني ..وسائر احبتي الذين أطلقوا صرخاتي في أوربا ..

واخيرا ..وكان ينبغي ان يكون اولا .. الى مجلتي الاثيره "يه يفين"والى هيئة تحريرها المبدعين والى القاص والروائي الكبير. الصديق الاعز ..محمد موكري الذين احيوا النص - بعد رقاده أربعين عاما .. في مقبرة المخطوطات العمودية وبادروا الى نشره للمرة الاولي ، بعد هذا الزمن الطويل ، كاملاً وباحتفاء خاص . وذلك في العدد - الحادي عشر - تموز ٢٠٠٤

فأليهم .....

الى اخوتي في (به يفين)

محبة عارمة بلاحدود .....

تعجز الكلمة عن الاحاطة ببعضها

مجلة شانو ملف خاص عن عوني كرومي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي.. من ترنيمة الكرسي الهزاز.. الى مس

سلاما أستاذي النبيل عوني كرومي

د. عواطف نعيم

حين التقيتك أول مرة سحرتني ابتسامتك العذبة وروحك النقية، طفولتك البريئة التي لم تغادرك أبداً، وحين عملنا سوياً شدني اليك عشقك الصوفي للمسرح، فكأنك تتماهى مع من حولك على الخشبة تنظر للانسان بعين المحبة وتصر على أن المحبة أساس المبدع الفني، وتؤمن بأن لا قيمة للعالم اذا ما خسرت نفسك كان ديدنك أن تكون مليئاً بالمحبة عميقاً في الانجاز وتلك بصماتك الجليلة تؤشر وتشير الى قدرتك الابداعية ومخيلتك الخلاقة ونبلك الانساني المؤثر، ورغم كل الجراح وسنوات الغربة والحنين الى الوطن بقيت تسعى لكي يكون العراق عبر مثقفيه وفنانيه المتميزين حاضراً في المحافل الدولية والعربية، وكنت تسعد ويشع وجهك النبيل بالفرح وأنت ترى ألقا عراقياً يعلو خشبات المسرح من أرجاء مختلفة من صروح الفن في العالم.

أستاذي وأخي فقدناك في زمن صعب وفوضى وطن واضطراب نفوس، كنت تتوق للعودة الى أرضك وأهلك وناسك وتؤكد أن الخطوة الحقيقية لأي منجز إبداعي تكون صحيحة ومؤثرة حين تجيء في مكانها في خصوصيتها مثل نبتة تغرس جذورها في عمق تربتها.

كنت تتوهج بالفرح وتشع بالابداع، وحولك أصحابك وتلاميذك يحلمون معك ويجسدون بتوجيهك وخبرتك وتجليات الفن المسرحي ومهارات الاداء الدرامي، ليأتي بعدها التصفيق مدوياً، وتتلقفك الاحضان المحبة وتزفك بأكاليل الزهور وقبلات المباركة، ونحن حولك، صحبك، مريدوك، تلاميذك، فنانو بلدك نتباهى بل ونفخر بك، يا صديقي العراقي العاشق للعراق حد البكاء، المتصوف بالمسرح حد التماهي، هي الاوطان تجمعنا وتفرقنا، هي الاحزان تجرّحنا وتوجعنا لكنك معنا، في عمق قلوبنا المترعة بالأسى، في عمق أرواحنا المضرجة بالجراح تبقى رمزاً للعطاء والنبل والكبر على كل الصغائر سلاماً لك منا نحن الصابرين، الحالمين، المنتظرين، العاشقين لهذا العراق الألم، المبتلون بالمحبة والعشق للرافدين والنخيل وحمائم السلام الجافلة

في القاهرة: قال هيا ا

د. شفيق المهدي

عوني كرومي، صراخ وبكاء انتظر كلمة واضحة، كلمة واحدة ح
استطيع ان اتعرف على الصوت او الكلمات لكن دون جدوى.. ان
مرعوباً فزعاً لدقائق لا شيء سوى الصراخ، سوى البكاء، اتبين
كلمة (عوني).. مستشفى.. كرومي، يده وباقي الحروف، الكلمات ذ
وسط الصراخ..
الصوت يتحول الى نحيب، من المانيا كان الاتصال.. امل الجبو
تخبرني ان عوني قد مات هذه الساعة في يوم ٢٠٠٦/٥/٢٧ الس
السابعة الا دقيقتين بتوقيت المانيا كانت في زيارة له هي والش
العراقي خزعل الماجدي عندها توقف قلبه العظيم المفعم بحب ب
والموله بحب العراق.. عوني كرومي يسقط ميتاً جراء حبه الشديد ل
وفيه من الاسى جبل.
كان اللقاء الاخير معه في القاهرة سمع بان فرقة الباليه التابعة لدار ث
الاطفال ستقدم عرضاً على قاعة مسرح الاوبرا فما كان منه الا أن
تذكرة من المانيا الى مصر لكي يرى العرض. في هذه الدنيا لا يسب

البقاء في حياتك يا عوني

د.هيثم عبد الرزاق

قتلته الغربة والخوف، قتله الوطن، اراد ان يطرد الخوف بالابداع بالهجرة بالتنقل بالهروب بالانزواء، بالانفتاح على العالم لكي يعوض الوطن لكن دون جدوى، لان الوطن، وطن الرافدين، يأنف من ابنائه ويقتلهم بلا رحمة.. السؤال لماذا؟ لان عجلة الوطن ملكية خاصة للسياسي، فهو الذي يديره حسب مزاجه، وحسب استثنائه الخاص وما زلنا الى اليوم، وسنموت واحداً بعد الاخر من القهر المفروض علينا وذنبنا نريد ان نصطف الى جانب حب الانسان. ما الذي يمنح للسياسي هذا الاستثناء بالمنفرد. ايها المثقفون انتبهوا.

البقاء في حياتك يا عوني، لاننا نحن ايضاً موتى

الى عوني كرومي طبعاً.. طويلا سابكي

رائد محسن

اين تمضي الغمامات بعد السماء؟ كيف تمطر؟ من يجبر الاخرين على ان يقتنعوا بالمطر؟ يا من حيرتني غمامة ممطرة.. مطر.. نرفض القمع، مطر، نصنع حياة.. مطر نستفز المشاهد على التفكير مطر.. نقارع الدكتاتور.. مطر.. مطر.. مطر.

يجب ان يكون المسرح ممطراً يحفز الاخرين على الرفض هذا ما علمتني اياه في زمن الدكتاتور.. مطر ... نحكي عن الفقدان.

عوني.. اتعلم اي حزن يبعث الفقدان؟ وكيف تبكي الروح ان غادرها انسان "انسان"

يا لك من انسان.. ستنام مبتسماً في فراشك الاخير.

ايها المحب. المبدع، الصديق.

عتبتُ عليك ايها الورد لانك علمتّني كيف اكون مؤثراً في

المسرح والثقافة ول
لانك وعدتني ان تنش
ورود بغداد كانت مش
الغمامات المنتظرة،
سيكون صيف بغدا
الباردة التي تهب عل
لم اصدق يوماً انك ي
الاصدقاء لكن يبدو ا
من الارض سريعاً لب
هي رحلة طويلة.
والاحزان.. هي محب
لماذا أيها الورد؟ ان
ابها الورد الحبيب ف
الوداع ايها الورد.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

سافر ليل

عوني كرومي والمشروع المسرحي الوطني العراقي

فاضل ثامر

خسرت الحياة الثقافية والمسرحية في العراق هذه الايام واحداً من مبدعيها الكبار.. الفنان المسرحي د.عوني كرومي الذي وهب حياته وفنه لخشبة المسرح فكان مثالاً للراهب المتبتل في محراب الفن.

لم يكن الفنان عوني كرومي فناناً مسرحياً تقليدياً بل فناناً يمتلك رؤية شخصية ثاقبة للحياة والمسرح والفن وكانت قضيته الحياتية الكبرى هي الابداع من خلال المسرح ولذا فقد كان كثير التأمل والقراءة والتجريب وحاول ان يطور منهجاً شخصياً في الاخراج المسرحي.

ووجد ضالته في مسرح برشت الملحمي الذي وفر له رؤية مسرحية وفكرية مغايرة تماماً فانجز العديد من اعمال هذا المسرحي الكبير برؤية مبتكرة وثورية مواصلاً بذلك تجربة رائد آخر في هذا الميدان هو الفنان الكبير ابراهيم جلال الذي كان اول من عرّف المسرح العراقي باعمال هذا المسرحي المذهل.

كان عوني كرومي يكرة التقليد والرقابة والاجترار ويحرص على تحقيق اقصى درجات الابتكار والمغايرة والخصوصية في كل شيء، فكانت اعماله جزءاً من شخصيته الفنية المطبوعة على حب الخير والمعرفة والايمان بالانسان وبالدور المغير للثقافة وهو بالاضافة الى ما تقدم كان صاحب مشروع ثقافي ومسرحي شامل ذلك أن اعماله كانت تشكل متوالية مسرحية تهدف الى انضاج مشروع مسرحي وطني عراقي. ولذا فقد ترك بصمة واضحة وقوية في مسيرة المسرح العراقي الجاد كما ترك برحيله المفاجئ فراغاً كبيراً لا يمكن ان يسده احد غيره.

كان عوني كرومي، قبل هذا وذاك، انساناً يحترم الناس والجمهور والاصدقاء ويحظى بمحبة اصدقائه وزملائه في العمل وكان يحرص دائماً على ان يخدم المسرح العراقي بمجهوده الفردي الخاص وكأنه سفير فوق العادة للمسرح العراقي فهو المسرحي العراقي الوحيد (ربما) الذي يسعى لتوفير اكثر من فرصة لزملائه الفنانين المسرحيين العراقيين لتقديم بعض عروضهم المسرحية في المانيا وبالذات من خلال مسرح الروهر الالماني وكان يخطط قبيل رحيله –كما علمت– لتضييف مجموعة اخرى من الفنانين العراقيين لتقديم عروضهم الجديدة في المانيا.

هذا المبدع الكبير وهذا القلب الخفاق لا يمكن له أن يموت لانه سيظل حيا في ذاكرة المسرح العراقي وفي سفر الثقافة العراقية.

...لى كربلاء

...حتى
...تظر
...قط
...ابت

...وري
...ساعة
...ساعر
...غداد
...بلده

...قافة
...قطع
...قني

بالبكاء الا عوني كرومي اتصور اللقاء بيننا بعد عشرة اعوام أو تزيد بين كل كلمة واخرى يسألني: كيف بغداد، كيف صلاح، كيف عقيل؟.. سامي؟ عواطف، الاكاديمية وفجأة يوقف تاكسي ويدفعني انا ومحاسن الخطيب وامل الجبوري، يضحك إذ يقول اذهبوا بنا الى كربلاء ويصرخ بعد الضحكة ببكاء شديد "الى مقام سيدنا الحسين" في القاهرة الساعة الثالثة فجراً، كان متوتراً محطماً تماماً ولهذا قررت زميلتنا الجبوري ان تقطع له تذكرة للعودة الى بغداد وهكذا كان الامر، ليلتان في مطار القاهرة، مضتا دون جدوى وفجأة حول عوني وجهته الى المانيا، كنت اعرف وانا ارقب عوني انه سيموت عن قريب..

الآن اتذكره في دخوله الصاعق لاول مرة بعد حصوله على الدكتوراه اذ التقيته في الممر الخاص الذي يؤدي الى مسرح الاكاديمية..

لحية طويلة، شنطة يد وعشرات من الانحناءات لطلابه وهو يمشي قاطعاً هذا الممر.

بعدها قدم عرضه المذهل غاليلو وكريولان وابتدأ الدرس

...ك عليك ايها.. الورد

...م تعلمني كيف لا اكون متأثراً بغيابك،
...سر عطرك في بغداد قريباً.
...نتظرة ان تشم عطرك لكنك غادرتنا نحن

...د حاراً جداً فقد غادرتنا نسمة الصباح
...ى الاحبة في كل الاوقات.
...مكن ان تخذل بغداد.. الورود، الغمامات
...ن عطرك البهي اغرى السماء على قطفك
...يكتمل زهوها.
... هي نصف العمر هي كل الامنيات
...ية كبيرة. هي حزن كبير.
...ن تكفيني احزان بغداد؟ نم قرير العين
...في اي ارض تنام سيفوح عطرك ليعلن

موجود في كل مكان ينتج ابداعاً

د.ميمون الخالدي

ثلاثون عاماً مضت منذ عرفت عوني كرومي ومنذ ان عملنا معاً في فرقة المسرح الشعبي ومسرح (الستين كرسي) التابع لها في شارع السعدون عندما عاد من ألمانيا أول مسرحي عراقي يحمل الدكتوراه في المسرح، ثلاثون عاماً مضت تخرج على يديه الكثير من فناني الحركة المسرحية الفاعلة الآن، قسم منهم اصبحوا نجوماً وقسم منهم أصبحوا أساتذة للفن والاهم من كل ذلك عروضه التي تتربع في الذاكرة الثقافية العراقية، وبامكاني كتابة بحث مطول عن عوني انساناً وفناناً واستاذاً ولكن قفزت الى ذاكرتي تلك الايام التي غادر بها العراق مغترباً في عمان ثم في المانيا حيث افترقنا الى الأبد. كنا منذ أواخر السبعينيات نكاد لا نفترق يوماً، والكل يعرف ذلك، ميمون وعوني في الكلية وفي المسرح وفي مزرعته التي أنبتها أشجاراً وزيتوناً بيده مثل فلاح متمرس، وبيته الذي بناه بعرقه وجهده، وفي الوقت ذاته الذي أبدع فيه الانسان الطيب وترنيمة الكرسي الهزاز وبيرو شناشيل والانشودة وغيرها الكثير، بعد عام ١٩٩١ كنا نتجول في بغداد وكان مرعوباً من الدمار الذي حل ببغداد وكان يبكي، ولكن بكاءه غزيراً هطل كالمطر عندما كنا واقفين في باحة الكلية عندما دخلت الشاحنات لتفرغ مكتبة المعهد العالي للفن المسرحي في الكويت، لم يستطع تحمل ذلك المنظر رغم الحاحي عليه بكتمان مشاعره، ضاق ذرعاً بما كان يجري وأخبرني بأنه سيموت إن بقي يشاهد تلك الصور المؤلمة وقرر المغادرة الى عمان استاذاً في جامعة اليرموك وأذكر انني بكيت مبدعاً علماً يترك الوطن كما تركه الآخرون. والتقينا كثيراً بعدها في عمان وفي القاهرة وفي تونس لانه كان موجوداً في كل مكان ينتج ابداعاً وفي المهرجان الاخير في القاهرة ٢٠٠٥ شهر ايلول كان يأتي الي يومياً حتى اني اجده منتظراً حتى في ساعات الليل المتأخرة، أكان عوني يعلم ان تلك الايام كانت آخر لقاءاتنا كم طلبت منه الرجوع الى بيته ومزرعته ومريديه وممثليه، لكنه أخبرني بأن سبب تركه للوطن كان الرعب والخوف وهما لا يزالان جاثمين على عيون الوطن. واليوم حين فجعت بك ايها الأخ والصديق والاستاذ والانسان الطيب فأني ابكي وطناً يحتاج الى ابطال وبؤساً لمن لا يعرف ابطاله.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

اسئلة الحداثة في تجربة الدكتور عوني كرومي الفنية

ياسين النصير

هذه الكلمة التي اشتركت فيها بمهرجان المركز الثقافي العربي في ألمانيا،وقد خصصت جلسة خاصة لتأبين الدكتور عوني كرومي.ولكني لم احضر المهرجان مع الأسف الشديد.

١

يكتب لي في رسائله

" يسألونك لم لا تعود لوطنك وتطفئ الحنين؟

– الخوف والسلاح.

– الخوف يملأ الأرض والسماء من نقطة الحدود إلى بيتك المهجور والسلاح يملكه رجال الأمن والجيش وبعض الجحوش.

– ولا حق لك في كل شيء، الخبز والأمن والإطمئنان..ممنوع أن تكتب، أن تقرأ، وأن تفكر، وأن تعلن رأيك في الحرب والسلم...الموت، المجاني ينتظرك.

– البيت مهجور، ينتظر من يطرق بابه، الكتب، الدفاتر،الأوراق، اللوحات تنتظر من يوقظ التراب الذي يعشعش فوق ارتصافها، زوايا البيت وأركانه فقدت حاسة السمع، والجدران التي اختزقتها الموسيقى وصور الأحبة تنتظر من يحرك أوتارها..جف الدهن في الأقفال، وحل الزنجار، ولم يبق سوى صوت أزيز الهواء يبعثر الأوراق اليابسة في حديقة البيت، أكتب هذا لأنني أدرك أن الدموع الحقيقية الحزينة تأتي دائما من المنفى."

من الأمور التي إشتغل عليها الدكتور عوني كرومي في المسرح العراقي خلال السنوات الثلاثين الأخيرة هي الحداثة، ونعني بالحداثة في تجربته هنا:

١-أعتماده الصيغ الجمالية التي يتم بها إختيار المسرحيات التي تنسجم وطماح فنان درس في ألمانيا وتعلم من مدارس الفن الحديثة ورغب أن يكون طليعياً في مجتمع يبحث بادواته الخاصة عن أشكال فنية تعبيرية يقدم فيها صورة عما يفكر فيه.فكانت أعماله كلها تصب في هذا الإتجاه، نذكر منها ترنيمة الكرسي الهزاز، صراخ الصمت الاخرس، بير وشناشيل والتساؤلات وغيرها.

٢-تحديث الكتابة المسرحية ونقلها من رصد للظاهرة ونقدها إلى بناء ظاهرة ومعالجتها بطريقة فنية حديثة، وبهذه الطريقة لايكون المؤلف مستقبلاً للإحداث بل صانع لها.وقد عمل الدكتور عوني مع مؤلفين كثيرين فكان يعيد صياغة فقرات وتراكيب مشاهد بناء على تفهمه للكيفية التي تتم بها سياقات الفكرة، حدث ذلك مع نصوص قديمة مثل رثاء اور ومع نصوص برشت مثل كوريلانوس والإنسان الطيب حيث لاءم سياقات العرض مع ذائقة وهموم المشاهد العراقي،وعمل مع الكاتب محي الدين زنكنة في صراخ الصمت، وعمل مع أشعار عريان السيد خلف، ونص فاروق محمد في الترنية، وعمل الكثير مع مسرحيات شعبية بير وشناشيل على وجه الخصوص. كانت الغاية من التحديث هو تقريب مفاهيم النصوص التي تكتب وفق سياقات قديمة لحاجات المسرح الحديث، خاصة فيما نطلق عليه العرض المسرحي والقارئ المؤلف والمشاهد المشارك وكلها مفردات برشتية.

٣- وتعني الحداثة عند عوني كرومي تجديد الرؤية الفكرية لما يجري واقعياً بعد أن ترافقها رؤية فلسفية وموقف حداثوي من تجديد الخطاب الثقافي بما يتلاءم وسياقات البنية الأجتماعية.وقد كانت تجاربه المسرحية قائمة على تفسيرات المادية الجدلية وبوضوح منهجي عندما يربط بين العرض والتاريخ.مسرحية الإنسان الطيب مثلاً.

٤- تحديث التقنية الفنية التي ينفذ بها خطاب المسرح الحديث وهذه التقنية واحدة من أهم مرتكزات الحداثة في تجربته، وكان يسعى لتنفيذ هذه التقنيات بعمل ميداني يؤسس هو لمفردات العرض باستخدام عاملين لهم خبرة ميدانية في ذلك،ووجد في ألمانيا الكثير ممن قدم له هذه التقنيات كجزء من سعيه لمرافقة عروضه التجريبية برؤية تقنية حديثة.

٥- المسرح ابن المدينة ونتاج لفاعليتها من عمران وطرق مواصلات وحياة اقتصادية، وتعليم، وصحافة، وثقافة. ولذا حمل هويتها.في تجربة عوني نجده دائما يربط بين المسرح والمدينة، لم أجد اي ورقة كتبها برسائله لي ولغيري إنه يفكر بمسرح للريف أو للقرية بالرغم من تعامله مع الحكاية الشعبية ومع مفردات قروية وريفية. لان عوني كان أبن المدينة ودرس فيها ودرّس فيها ايضاً، والتصق بها ولم يسكن او يعرض في اي مكان غير مديني.

٦-جعل العملية الفنية عملية ثقافية فكرية وليست تنفيذاً لرغبات أشخاص أحبوا أن يمثلوا فعملوا فرقاً من أجل الترفيه والتسريه.لذا لم نجد عوني يتعامل مع ممثلين محترفين كل ممثليه من الهواة،ومن المثقفين، ومن الذين يجدون في عمله تكملة لهم، لذا إبتعد عن الإحتراف وأقترب كثيراً من الهواة العاملين في سياقات شعرية تأليفا وتمثيلا.

٧- تجديد الخطاب الثقافي نفسه، وجعله خطاباً حداثوياً يقدم بتقنياته حديثة. هذا كان مسعى عوني وما الورش التي أقامها في بلدان عدة إلا من قبيل سعيه لنشر ثقافة المسرح الحديث كرسالة يجدد خلالها خطابه الفكري لأجيال لم تشاهد عروضا عالمية ولم تدخل مدارس حديثة، ولكنها كانت تمتلك مشروعها التحديثي. أن عمله في البلدان العربية بعد أن فقد الساحة العراقية، هو جزء من مشروعه النهضوي.

٨-وأخيراً جعل مسرحنا مواكباً لتيارات الحداثة العالمية،هذا ما كان يسعى إليه حيث وضع جل نشاطه في العروض الجماهيرية الحديثة التي تتعامل مع احدث اسهامات الحداثة وفي الوقت نفسه تمتلك بعدها الشعبي، لذا كان برشت إلى جوار فاروق محمد ومحي الدين زنكنة وغيرهم.هذه المجاورة هي تلمس خيوط الحداثة محلياً وربطها بما هو عالمي.

هذه الأهداف جزء من أوجه الحداثة في مسرح الدكتور عوني كرومي. ومن يتتبع نشاطات فناننا ومخرجينا المتميزين يجدها جزء من مهماتهم العملية والفكرية.

من الملاحظ ان النقاط التي أدرجناها ليست رغبات فردية بل، هي مشاريع اجتماعية وتهم فئات وفصائل تقدمية وضعت نصب أعينها المشروع الحداثوي للثقافة العراقية، تواكب مشروعها التحديثي الإجتماعي، وللصدف ان تكون الرغبتان الرغبة السياسية لدى الفصائل الوطنية في التحديث، والرغبة لدى مجموعة من الفنانين خريجي المدارس الإشتراكية في ان ينقلوا مسرحهم من الأشكال النقدية والواقعية والرومانسية إلى مجالات فن حديثة،متزامنة، مما سهل لها العمل بين فئات واسعة من المثقفين . الدكتور عوني أحد الفنانين الذين جمعوا بين الرغبتين في تجربته وفي ممارساته.

٢

يدرس الدكتور عوني المسرح في ألمانيا، المانيا برشت وألمانيا المسرح الملحمي، والمسرح السياسي، المانيا التجريب وألمانيا التعبيرية، وفيها كان تلميذاً وعاملاً، ناقداً وعاشقاً للحياة الغربية، متطلعا بأفق عراقي حديث ومنغمراً بتراث إنساني كبير، ويوم زرته في المانيا في أواسط السبعينات، لم يكن يرى غير أن ينقل تجربة المسرح الألماني للعراق. بعد تخرجه جاء بمشروع " رثاء أور" وهو نص قديم ليشكل اطروحته في التخرج،ولكنه أشترط أن تكون على أرض العراق، وبين طلبة وأساتذة عراقيين، مستصحباً معه استاذه المشرف، ليرية كم هم الفنانون العراقيون شغوفين بالحديث وبالجديد. التجربة لم تكن لوحدها، ولم تنبت على أرض يباب، بل كانت جزء من مسيرة فنية حديثة إبتدأها الرعيل الأكبر سنا من عوني ومن مجايليه والذين جاءوا من موسكو وبلغاريا ورومانيا وبريطانيا وأميركا، رعيل محمل بأسئلة الحداثة، فكانت الحداثة وأسئلتها هي زادهم الفني.

لم تنبت الحداثة اذن شجيراتها على أرض فارغة، بل سبقتها تجارب كثيرة لسامي عبد الحميد وابراهيم جلال، وقاسم محمد، وعلى مستوى التأليف، لعادل كاظم ومحي الدين زنكنة وآخرين، لكن هذه الحداثة بقيت معلقة بالهواء، لانه لم يصاحبها منهج تنظيري يجعل من محليتنا جزء من أفق عالمي، كما كان برشت يسعى لجعل الحكاية الشعبية من بلدان مختلفة منهجاً عالمياً في تضمينها رؤيته الملحمية، بعدما إكتشف فيها قدرتها على أن أنها تمثل كل الشعوب، وكل الازمنة، دون أن تكون مختصة بقوم أو بلد. هذا البعد التنظيري لم يوجد عند عوني كرومي، الفنان قاسم محمد لوحده كان يرفق أعماله الفنية، برؤية تنظيرية يبين فيها خطته لأختيار هذا النص . وقد اقتصرت هذه الرؤية على ثلاث تجارب فنية ثم لم يواصل هذا المنهج.

على العكس كان الدكتور عوني معلما في هذا الإتجاه، كانت تمارينه للممثلين درساً في النظرية الماركسية، كان يشرح النص في ضوء منهجية علمية، ويعطي أمثلة من الواقع، ومن رؤيته هو والكيفية

البيت مهجور، ينتظر من يطرق بابه، الكتب، الدفاتر،الأوراق، اللوحات تنتظر من يوقظ التراب الذي يعشعش فوق ارتصافها، زوايا البيت وأركانه فقدت حاسة السمع، والجدران التي اختزقتها الموسيقى وصور الأحبة تنتظر من يحرك أوتارها..جف الدهن في الأقفال، وحل الزنجار، ولم يبق سوى صوت أزيز الهواء يبعثر الأوراق اليابسة في حديقة البيت، أكتب هذا لأنني أدرك أن الدموع الحقيقية الحزينة تأتي دائما من المنفى.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

التي يفسر النص بها تفسيراً مادياً، وقد حضرت له عدة تمارين كنت شغوفاً بما يفسره، لا بما يعمله من تمارين.هذه الطريقة في الدرس كانت أكثر مرونة من وضع أية خطاطة نظرية عن أعماله، لأنها كانت يومية وتلاصق التجربة وتنبثق من أسئلة التمارين وتطورمراحل الأخراج، ولذا كانت تمارين على مستويين الإخراج وشرح النص والنظرية وتفهم أبعاد النص في ضوئها.

٣

لكل تجربة من تجارب عوني كرومي خصوصياتها ومناخاتها، مشكلاتها ومعوقاتها، وتراه وهو يهيئ العرض لها يدخل في مجالات عدة من أجل توفير فرصة نجاح لها،أي انه يعمل تكملة بحياته لتجاربه الفنية، ولذا لا تجد فاصلاً كبيراً بين ما يخرجه وما يفكر به وما يعيشه. لقد عاش المسرح بكل حياته فتحولت حياته إلى مسرح، يكتب لي رسالتين طويلتين واحدة بـ٦٣ صفحة بخط اليد والثانية بـ ٦١ صفحة بين الطباعة وخط اليد، وفيهما يلخص حياته كاملة وتجربته ويتداخل فيها الطموح بالمتحقق، وفي كل فقرة يضع مسألة تحديث العرض المسرحي نصب عينيه، إنه ذلك الكائن العامل الذي لا يعرف الهدوء والسكينة وقد كانت نهاية حياته الجسدية ثمنا لهذا النشاط الحميم مع المسرح.

تتماهى شخصيته مع تجاربه ها هو يتحدث عن غربة الممثل في مسرحية " تقرير أمام الأكاديمية" التي قدمها في القاهرة كجزء من عروض المسرح التجريبي، وكأنه يكتب عن هجرته وغربته هو يقول " في مسرح ما يحاول ممثل أن يؤدي شخصية القرد العجيب وهو يلقي محاضرة حول مراحل حياته التي وصل من خلالها إلى ما هو عليه الآن من إستقرار ونجاح عبر نص لفرانز كافكا، بلغة غير لغته الأصلية،فيكتشف أثناء الأداء والتحول إلى أنه يقدم قصته الذاتية ومعاناته الشخصية في مراحل التكيف والإندماج في المجتمع الجديد الذي وجد فيه نفسه، حيث حالة الإغتراب الإنسانية التي تعيشها الشخصية هي حالة إنسانية تنطبق عليه أكثر مما تنطبق على غيره من المؤدين، فتتداخل قراءته للدور مع الشخصية ويبدأ بتقديم نفسه وذاته المغربة في الدور عبر تجسيد خبرته ومعاناته، ويسعى لكي تكون المسرحية صوته الذي يعبر من خلاله عن وجوده وحياته ومعاناته في الغربة" ويقول " أن ممثلا وضع نفسه في صورة الواقع وليس على هامش إطارها مثلما هي حلم ورغبة، لدفع المشاهد كي يرى هذه الشخصية بعيون يقظة لا تغشاها الأوهام." هذا هوعوني كرومي شخصية تثير أسئلة للحداثة خلال وجود خيوط ترابط بين الأدوار والشخصيات الإجتماعية والواقعية،وعندما تتوفر له مثل هذه المساحة من الفعل نجد العمل ينحت في جسده وفكرة حتى يصل به إلى الذوبان في أعماله وهذا ما كان حصيلته، وفاته الدراماتيكية وهو يؤدي عملاً مسرحياً.

ما يميز تجربته أنه في كل إعادة لمسرحية من مسرحياته يضع خطة أخراج جديدة،مطوراً ما كان قد خطط له في العرض الأسبق ومستجيباً لما كتب عن العرض برأي النقاد ومناقشاته مع الممثلين، فيكون العرض الجديد بخطة إخراجية متطورة عن سابقتها، ومن ميزات هذه التجربة أن أفقه الفكري يبقى مفتوحاً ليحوي الجديد. تتطلب الحداثة تمريناً مستمراً، وليس ثباتاً على رؤية قديمة. هذا التمرين يمنحه حرية تشذيب وتطوير وإضافة. يكتب لي عندما أخرج صراخ الصمت الاخرس لمحي الدين زنكنه في المانيا وقدمها في هولندا بناء على دعوة من مؤسسة أكد" في المعالجة الجديدة للمسرحية تدخل حرب الخليج الثانية من خلال الصوت فقط،كي تكون السبب في الهجرة وضياع هذه الشخصيات، نحاول في هذه المعالجةتسليط الضوء على ضياع وإنهيار، ودمار هذه الشخصيات، أنه ارتحال إلى الغربة والمنفى ومعاناة الشخصيات تحدث بتأثير الحرب من جهة وتأثير الغربة والمجهول الذي ينتظر اقدارهم بهدف التعبير ع عبث الحياة، إنها صرخة جديدة ليس فقط ضد الجوع والاستلاب والقمع في العرض الأول فقط،أنما هي صرخة ضد الإغتراب الذي يعيش الإنسان العراقي وبالذات الإنسان الكردي في العراق" هل جاءت هذه الإضافة بعد أن حل عوني في ألمانيا مهاجراً إليها من الأردن الذي لم يستطع أن يكمل مشوراه فيه بعد تكالب قوى الإسلام السياسي عليه؟أعتقد أن أية إضافة تخلو من تجربة شخصية أوحاجة فكرية لاقيمة لها.

في مسرحية السيد والعبد يضع عوني كرومي مخططاً اخراجياً برؤية حديثة لكل مكونات العرض،فالملابس تعني عنده إعطاء صورة جديدة وايقاع جديد، وترتبط بالملابس فكرة إستعمال الأدوات والاكسسوارات للتأكيد على أنها مفردات درامية.

في الفكرة يسعى لتداخل بين ما هو أسطوري طقسي، وما هو حياتي وذلك بالمزج بين العمل والخدمة والصلاة.

في بنية الإيقاع يهتم بإيقاع الروح الملحمية للعرض،وإعتماد العرض على البناء الحدثي المتقاطع والمتناقض، بغض النظر عن الدور الذي يؤسس وحدة متكاملة.

ويكتب ان أهم موضوعة في العرض هي " فكرة التردد ، الخوف، العجز" ويضع لكل مفردة منها طرق تنفيذ عملية، ويضع أكثر من ستين نقطة لتطوير هذه المسرحية التي هي عبارة عن دراما السيد والعبد تاريخياً وواقعياً.

٤

يكتب لي في رسائله

" يسألونك لم لا تعود لوطنك وتطفئ الحنين؟

– الخوف والسلاح.

– الخوف يملأ الأرض والسماء من نقطة الحدود إلى بيتك المهجور والسلاح يملكه رجال الأمن والجيش وبعض الجحوش.

– ولا حقك لك في كل شيء، الخبز والأمن والإطمئنان..ممنوع أن تكتب، أن تقرأ، وأن تفكر، وأن تعلن رأيك في الحرب والسلم...الموت، المجاني ينتظرك.

– البيت مهجور، ينتظر من يطرق بابه، الكتب، الدفاتر،الأوراق، اللوحات تنتظر من يوقظ التراب الذي يعشعش فوق ارتصافها، زوايا البيت وأركانه فقدت حاسة السمع، والجدران التي إختزقتها الموسيقى وصورالأحبة تنتظر من يحرك أوتارها..جف الدهن في الأقفال، وحل الزنجار، ولم يبق سوى صوت أزيز الهواء يبعثر الأوراق اليابسة في حديقة البيت، أكتب هذا لأنني أدرك أن الدموع الحقيقية الحزينة تأتي دائما من المنفى".

أطياف عوني كرومي في صورتين

حسام أبواصبع

حين تداولت الوسائل الإعلامية نبأ رحيل المخرج عوني كرومي.. وجدت نفسي بين صورتين وشعورين متناقضين إزاء الحدث. الأول شعور بالخسارة، والثاني شعور بعادية الخبر. أما الخسارة فلأن كرومي من الذين أسهموا في إضافة شيء جديد إلى الساحة المسرحية البحرينية. لقد كان المسرح البحريني حتى مطلع ثمانينات القرن الماضي، مسرح صوت وزعيق بامتياز. وكانت تأثيرات كرومي ومعه أو يسبقه المخرج الراحل جلال إبراهيم، والمؤلف محيي الدين زنكنه، من أسباب ظهور التجريب في المسرح البحريني من خلال الفنان عبدالله السعداوي. فسيرة السعداوي تخبرنا أنه في العام ١٩٧٥ شد الرحال إلى دولة الإمارات العربية المتحدة مشاركاً في تأسيس مسرح الشارقة، وفي تلك الفترة التقى جلال إبراهيم وأخذ عنه، كما التقى كرومي وشارك في الورش التي أقامها.

وبعد سنوات قليلة عاد المهاجر ليؤسس مختبر نادي مدينة عيسى، الذي كانت أولى نتائجه الملموسة مسرحية "الرجال والبحر" في العام ١٩٨٦، وهي من إعداد كرومي أيضاً. وهكذا دارت عجلة التجريب فوصلت ذروتها بعد أن نالت اعترافاً تمثل في جائزة الإخراج في مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في العام ١٩٩٤، فانهمرت مقالات المدائح انهمار المطر على السعداوي، حتى من أولئك الذين وقفوا من التجربة موقفاً مشككاً، وكان في ظنهم أن ما يقدمه السعداوي لا يتجاوز الهلوسة والشعبذة.

في ذلك الوقت كتب كرومي من إربد في الأردن رسالة للسعداوي مفعمة بالمشاعر المختلطة، وهذه المناسبة سانحة لإظهار مقاطع منها. يقول كرومي في رسالته "لقد تناهى إلى سمعي خبر فوزكم بجائزة الإخراج المسرحي في مهرجان القاهرة التجريبي.. لم أستغرب أبداً.. لم أدهش، لقد كان لدي شعور صادق وعميق بأنك ستقدم يوماً جزءاً من هذا الخطاب المسرحي بروح إبداعية خلاقة.. لقد فرحت فرحاً عظيماً ولست أدري لماذا؟ هل لأنك فنان عاش من أجل فنه.. أم لأنك موهوب غامرت بالموهبة من أجل الحقيقة.. أم أنك مجنون أو مغامر أو عبثي .. لقد فرحت ولست أدري، ربما من أجل كل ما ذكرت.. أو ربما لشيء آخر وهو صداقتي معك، ومحبتي لك.. أيها العنيد، المشكك، المشاكس، المحبوب الذي أرهقتني تساؤلاته وحواره في البحث عن الحقيقة.. أشكر لك تواصلك واستمراريتك.. أشكر لك هذا العطاء.. هذا الصبر.. هذه الروح الخلاقة، وليكن الفوز حقاً بداية على طريق المسرح التجريبي. لقد فرحت.. صرخت وأخيراً بكيت.. لأنني لم أحتضنك كما عهدتني بعد كل عرض ونحن نبكي طويلاً ونصرخ، حزنت لأننا لم نناقش هذا العمل من أجل الأفضل، نهدمه من أجل بناء آخر أكثر صحوة وأكثر رقياً.. فرحت لأن فوزك هو فوز لكل الشباب في البحرين.. وفوز لفريق العمل.. المسرحيون الصادقون كل الذين بذلوا المستحيل معك.. الله، ما أجملهم.. وهم يحترقون على المسرح.. الله، ما أجملهم وهم يتألقون ويتفانون من أجل العمل. إن المجموعة المتناسقة المخلصة هي الوحيدة التي تقدم الإبداع. إن الاحتراق الروحي والجسدي هو الذي يوصل إلى حال التوازن مع الواقع والحياة، والنموذج الفني هو لحظة عطاء وتكامل بين الذات وبين المعطى الإبداعي للمجموعة والتي تشمل الجمهور أيضاً وربما تشمل الصدى".

وقبل هذه الرسالة، وتأكيداً لمسألة الأثر كتب يوسف الحمدان مقالاً يعود إلى العام ١٩٨٦ عن عرض "الرجال والبحر"، وفيما يأتي مقاطع دالة من هذا المقال "هذه المسرحية سبق للسعداوي أن شاهدها بإعداد وإخراج عوني كرومي، وعلى رغم أن السعداوي حاول نقل القليل جداً من تفاصيل تجربة كرومي المسرحية، إلا أنه دلف برؤيته ومعطياته وتصوراته اختص بها عرضه الذي جوّده بإخلاص هواة نادي مدينة عيسى، واستطاع – بلا مغالاة – أن يتميز بها فنياً ويستقيل بها كعرض مسرحي مختلف تمام الاختلاف عن تجربة كرومي.. مضيفاً عليها بصماته الإخراجية بوضوح".

هذه إذاً، صورة كرومي الأولى، وهي صورة يصح أن نسميها "أطياف كرومي البعيدة على المسرح التجريبي عندنا". أما الصورة الثانية للراحل فقد تشكلت عندما قرر قطاع الثقافة والتراث الوطني تنشيط الوضع المسرحي، بإقامة ورش وعروض مسرحية أسندت لكرومي. وقد دار لغط كبير في الوسط المسرحي حينها، خصوصاً في مسألة الكلفة التي عدها بعضهم عالية جداً.. وكان الحديث عن ٥٠ ألف دينار أو ضمن هذا السقف. علماً أن إقامة الورش المسرحية طرحت على المخرجين المحليين قبل أن تسند المهمة لكرومي، لكنهم وضعوا العجلة أمام الحصان بطلباتهم الأكثر فنتازية، وهم أنفسهم من قاموا باقتراح كرومي لخبرته وعلو كعبه.

جاء كرومي إلى البحرين في العام ١٩٩٧، وقد وضع في اعتباره أن يحقق أرقاماً قياسية على المستويات كافة. فقدم في إقامته القصيرة ثلاثة عروض مسرحية هي، "الطوابق" للكويتية فوزية السالم، و"الخيول" لإبراهيم غلوم، و"جويرة" لعقيل سوار. وكانت المسرحية الأولى قريبة من الأجواء الاستعراضية، فيما الخيول كانت قريبة من التجريب، أما الثالثة فهي على مقربة من العروض الشعبية.

ولم تقتصر مهمة كرومي على تقدم العروض، بل أقام ورشاً، وكان يكتب للصحافة وللمجلات، ويشارك في الندوات، ويحاول ضمن الطاقم الرسمي التعرف على مشكلات المسرح البحريني تمهيداً لحلها.. يا إلهي مضى وقت طويل والمشكلات هي هي. كما كان هناك متسع من الوقت لإجراء اللقاءات والحوارات في مختلف الوسائط. لقد كان – رحمه الله – كتلة من الحيوية، وكان طاقة هائلة في الصراخ والعصبية المفرطة. أذكر جيداً كيف كان يصرخ صرخات مزلزلة على العاملين معه في الطوابق، ولا يدخر شتيمة نعرفها أو نسمعها للمرة الأولى على لسانه، إلا وينثرها على مسامع الجميع. لقد كان في حرب ضروس مع الوقت، وكان هناك في المقابل من يود الاستفادة ويمتلك القدرة على تحمل قسوة الشتائم. والحق، أن جميع العروض المسرحية التي قدمها لم تترك أي أثر يذكر. فقد كانت عروضه مسلوقة سلقاً، وإن كان عرض "الخيول" الذي مثل فيه كل من عبدالله السعداوي وخالد الرويعي أخف وطأة من العرضين الآخرين. أذكر أن عقيل سوار كتب يعتذر من الجمهور عن سوء العرض الذي قدمه كرومي، في سابقة هي الأولى من نوعها في التاريخ، فلم يتناه إلينا قط، أن مؤلفاً مسرحياً يعتذر عن شيء ليس من مهماته "أي الإخراج".

عموماً، في هذه الفترة كانت الفراغات وسط هذا الجدول المزدحم تكاد تكون شبه معدومة، وكان كرومي هشاً بشاً متواضعاً وكريماً في تعامله مع الجميع خارج فضاء البروفة. وكان طفلاً كبيراً فرح أيما فرح وهو يتناول "الباجة" التي أعدتها أم محمد في منزل قاسم حداد العامر، حين استقبل ذات مساء مارسيل خليفة وبقايا فرقة الميادين، إثر حفل نظمه الملتقى الأهلي. كان فرح كرومي بـ "الباجة" غامراً، وما أن أنهى طبقه حتى علا صوت شخيره، وبدت ملامح الطفل الذي يسكن جسد كرومي في التكشف.

والآن، بعد أن وصل كرومي إلى الأرض التي لم يعد من شواطئها أحد كما قال هاملت، أي صورة تستحق أن توضع في البرواز، هل الصورة الثانية الملتبسة أم الصورة الأولى. في الصورة الأولى كان الإسهام مهماً، وإن كان بشكل غير مباشر ومن وراء البحار. وفي الصورة الثانية كان كرومي فوضوياً.

قبل اعتماد واحدة من الصورتين لا ينبغي نسيان صورة كرومي الذي أحرق ٤٠ سنة في عمره في المسرح، مقدماً ٧٠ مسرحية، وعاقداً لكثير من الورش التدريبية في دول كثيرة، وحاصداً لجوائز وأوسمة عدة، ومدرساً في كثير من الجامعات، وعاملاً متميزاً في إطار المنهج البريختي.

كانت للراحل أياد بيض على المسرح البحريني، وعلى التجريب تحديداً

مجلة ثقافات 2007 البحرين

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي... الطائر الأزرق .. وسيط ثقافات العالم

د. سيار الجميل

" العمل المسرحي بالنسبة لي فعل حياة وبقاء وتطور وسؤال دائم عن الكينونة والوجود"

عوني بعد اخراجه مسرحية " الطائر الازرق "

قبل عام مضى وبالتحديد يوم ٢٧ مايس / آيار من العام ٢٠٠٦ ، رحل عنا الفنان العراقي الكبير المخرج المسرحي الدكتور عوني كرومي .. فترك فراغا كبيرا لدى كل اصدقائه ومحبيه ومتابعي اعماله .. وهو واحد من نخبة المثقفين العراقيين الرائعين الذين خدموا الثقافة العراقية ، وانتقلوا بها الى درجة عالية من السموق .. بل وغدا هذا الفنان الجاد الذي لم يكن يعرف الليل من النهار الى وسيط ثقافات هذا العالم .. وقد حقق خلال عمره القصير المزيد من الابداعات عالية المستوى .. وكنت أمل ان يهتم به العراقيون اهتماما كبيرا قبل رحيله المفاجئ .. ولكنهم كانوا وما زالوا يعيشون تاريخا صعبا هذه الايام ، وهم يفتقدون كل عام ابرز مبدعيهم وروادهم وفنانيهم وشعرائهم .. ولا يمكن ان تمر ذكرى عوني كرومي من دون ان اقف عندها ، فالرجل يستحق منّا كل الاهتمام ، كما منحنا وهو حي كل محبته وعطائه الجميل .. وسيذكر التاريخ هذا الرجل بكل نقائه وعطائه بالرغم من اكثر من حملة شنّت ضده ..

عوني كرومي : وقفة عند حياته

ولد عوني كرومي في مدينة الموصل عام ١٩٤٥ ، ورحل وهو في غربته الصعبة ببرلين عام ٢٠٠٦ .. انه المسرحي العراقي المحترف والموهوب معا .. انه خريج معهد الفنون الجميلة ، قسم التمثيل والإخراج ببغداد عام١٩٦٥، ثم انخرط للاستزادة في أكاديمية الفنون الجميلة ببغداد ، وتخرج عام١٩٦٩. سافر الى المانيا لاكمال دراسته ، وحصل على الماجستير في العلوم المسرحية من معهد العلوم المسرحية بجامعة همبولدت – برلين- ألمانيا عام١٩٧٢ ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في التخصص نفسه وفي المعهد والجامعة نفسهما ببرلين في ألمانيا عام١٩٧٦ . وغدا استاذا في تخصصه ، بتدريسه ذلك في عدد من الجامعات العراقية والعربية والألمانية بين الأعوام ١٩٩٧-١٩٧٧. ولقد شارك بفعالية ومهارة في العديد من المؤتمرات والمهرجانات والحلقات الدراسية العربية والعالمية بين الأعوام ١٩٧٢ و٢٠٠٢. أخرج أكثر من سبعين عملاً مسرحياً ناجحا ورائعا جذب اليه العالم ، واشتهر بخصوصيات اخراج مسرحيات قوية جدا ، منها: فطور الساعة الثامنة، في منطقة الخطر، كاليكولا، غاليلو غاليليه، كريولان، مأساة تموز، القائل نعم القائل لا، تداخلات الفرح والحزن، فوق رصيف الرفض، الغائب، حكاية لأطفالنا الأعزاء، كشخة ونفخة، الإنسان الطيب، صراخ الصمت الأخرس، ترنيمة الكرسي الهزاز، بير وشناشيل، المحفظة، المسيح يصلب من جديد، الصمت والذئاب، عند الصلب، في المحطة، الشريط الأخير، المساء الأخير، الطائر الأزرق ،أنتيجونا، فاطمة، السيد والعبد. نال العديد من الجوائز العالمية في مهرجانات بغداد، القاهرة، قرطاج، برلين . كما حصل على لقب (وسيط الثقافات) من مركز برخت في برلين.

على مدى اربعة عقود من الزمن العراقي الصعب .. انتج عوني حصيلة تاريخه المبدع وكان خلالها يبحث عن اسرار حياتنا العراقية الخصبة التي لا نهاية لها .. ويحاول ان يجد حلولا لمشكلات معقدة وكبيرة اكبر منّا جميعا .. كان في اعماله ناقدا رائعا وقد اسس مذهبه الفني واسلوبه الانساني ومنهجه الفلسفي من خلال اعماله التي اولاها الدارسون والنقاد اهمية كبرى .. كانت اعماله تبشر بالقيم والمثل الانسانية فخلق ما اسماه البعض بـ" مسرح الحياة " . كانت تطلعاته وخصوصياته الفلسفية قد بدأت منذ شبابه المبكر بنزوعه الى التجريب ، واصدر بيانا وكان دون العشرين من العمر يدعو فيه الى التجديد والتعاطي مع المناهج والرؤى الحديثة في الفن المسرحي ، مما اثر عليه بعض اساتذته الذين كانوا يدعون الى التجديد على طريقتهم وفي مقدمتهم الفنان ابراهيم جلال .

سماته الخاصة

عوني كرومي من عائلة عمالية حيث كان والدة أحد العاملين في مجال الطباعة. وتعلم عوني من والده ان الحياة مسرح كبير وكل البشر فيه مجرد ممثلين تعلموا بالسليقة احترافهم .. كانت بيئة الموصل في الخمسينيات بيئة ثقافة وادب ومجالس وصحافة وسياسة .. بيئة مدنية محترمة تجمع ابناء المدينة الحقيقيين بكل اساليبهم الحضارية وتقاليدهم واعرافهم الاجتماعية الاصيلة .. ثم انتقل عوني الى بغداد وهو شاب ليتعلم كثيرا من العاصمة وهي تخوض تغييرا واسعا .. لم يعرف عوني الهدوء ابدا ، بل انه لم يعرف غير العمل والحركة من دون أي توقف طوال حياته .. سريع الاندماج اجتماعي الطبع نظيف السريرة .. فكها وحاضر البديهة ينتقل بسرعة البرق من مكان الى مكان .. له تواضعه الشديد اذ وجدته لا يمّيز نفسه ابدا عن كل الملين في مسرحه .. يداوم معهم ويأكل معهم ويأخذ قيلولته على الارض معهم .. لا يترّفع ولا يتمنّع ولا يتنّطع .. في داخله طفل كبير جدا .. له احساساته ومشاعره المرهفة .. يتحّمل المشاق ويتأهب دوما للصعاب .. صريحا مباشرا لا يلف ولا يدور يتعلم دوما .. ربما تفور اعصابه بسرعة ولكنها تهمد بسرعة .. زار وعاش في بلدان عدة منها : المانيا والقاهرة والامارات والكويت وقطر وعمان والاردن وغيرها . وهو فضلا عن كونه مخرجا مسرحيا ، فهو باحث قدير ودارس متعمق ومؤلف ومترجم .. وقد اثرى باعماله الثقافة العربية وخلد للعراق اروع الاعمال .

هروب عوني

وفي العراق ، عانى كثيرا من الظروف الصعبة وهيمنة الثقافة الواحدة .. ورفض أخراج نص لأحد رجالات الدولة بأمر من قيادة ثقافية كانت تترصده .. فكان ان حورب حربا لا هوادة فيها عندما اطفئت انوار القاعة عند عرض احدى مسرحياته ، وكان مسرحه الذي اعطوه اياه مهملا وبعيدا في ضواحي بغداد. كما انه حوصر في الدرس الاكاديمي في جامعة بغداد وقلل من نشاطه الذي لا ينضب ، الامر الذي اضطره إلى مغادرة العراق للعمل مخرجا واستاذا.

لقد عمل عوني في جامعة اليرموك بالاردن بعد هروبه من العراق منذ بداية التسعينيات .. واشهد انني سمعت عندما زاملته استاذا في جامعة اليرموك ان الجميع يشهد له بحسن السمعة والسلوك وان الناس تلهج بذكره ومحاسنه وقد عرف عنه في مهجره مناضلا في اعماله ضد الدكتاتورية وقد لوحق طويلا .. وبالرغم من مسيحيته العراقية القديمة ، الا انه لم يتعامل من منطلقها ابدا مع كل معارفه وطلبته واصدقائه العرب والعراقيين .. وربما لا تعرف دين عوني ابدا ان لم تسأل عنه . صحيح انه من مسيحيي العراق الكرام ، ولكن لا يمكنني ان اجد فيه الا نزعة حب العراق حتى العظم . وفي الاردن عانى ايضا على غرار اقرانه الاكاديميين العراقيين من هجمة كل المتعاطفين مع النظام السابق .. فغادر على غرار اترابه الاخرين الى اماكن بعيدة فاختار المانيا ملجأ له ولعائلته . كان قد انتج واخرج في الأردن أكثر من عشر مسرحيات للطلبة ولفنانين أردنيين وعراقيين أنتجت بنية فنية مؤسسة لاحقا لقاعدة للقسم الفني في الجامعة.

عوني وأنا

لم اكن اعرف الرجل سابقا في العراق ولم التق به خارج العراق بالرغم من كونه ابن مدينة الموصل فهو قد درس في المانيا في حين درست في بريطانيا ، ولكنني التقيت به في الاردن صدفة برفقة بعض الاصدقاء كان منهم الفنان الراحل فريد الله ويردي . رحمه الله . .. ولكن لم يطل اللقاء اذ سرعان ما سمعت بأن عوني قد هجر الاردن الى المانيا حيث استقر هناك بعد ان ترك الشرق الاوسط نهائيا .. ولعل ابرز صديق لنا نحن الاثنين هو

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

الاخ الدكتور عصام داود (وكان صديقا لنا في اليرموك أيضا) وكان يحدثني دوما عن عوني ، ويذكر اروع خصاله ، وكان دائم الصلة تلفونيا به ويخصني بذكره ونبل سجاياه . ولما هجرت الاردن نحو كندا ولم تكن سنة ٢٠٠٣ قد حلت بعد ، كنت بحاجة الى عوني ليكون معنا ضمن هيئة تأسيسية لمجموعة الثقافات الدولية في مؤسسة اكنك ، فاعطاني تلفونه الاخ الفنان قاسم مطرود وتحدثت مع عوني شارحا له اهدافنا من اجل ان نفعل شيئا من اجل العراق وثقافة العراق .. وتبادلنا الافكار وكان الرجل مستعدا لعمل اي شيئ نطلبه منه من اجل العراق وكان يحدثني دوما من خلال مراسلاته الالكترونية عن اعماله الفنية ومتاعبه الصحية ومشاعره الانسانية .. ولما حلت ٢٠٠٣ ، كنا نترقب الاوضاع الصعبة ، وجرى التغيير الذي كنا نأمل ان يقود العراق فعلا الى الخلاص من ادران الماضي ، ولكن جثم الاحتلال بكل اوزاره على العراق .. وكان عوني يخبرني عن تفاؤله بالمستقبل .

فجأة وكنت قد آويت الى فراشي ، دق علي جرس التلفون وانا في الامارات في منتصف ليلة ١ مايو ٢٠٠٤ ، فكان عوني كرومي على الخط وهو في غاية الحزن والتأثر قائلا : هل استحق الشتم من اصدقائي يا سيّار ؟ قلت : حاشا ان يشتمك أحد وانت من اطيب الناس ! قال بأن الاخت حياة الحويك عطية (الكاتبة اللبنانية المقيمة في الاردن) قد شنت ضده هجوما صاعقا لا يستحقه باستخدامها اسوأ التعابير متهمة اياه بتهم شتى كونه صفق للتغيير الذي حصل في العراق .. وهي الصديقة التي كان من جملة من يؤثرهم عوني .. قلت له : خفف عنك فالاخوة العرب لم يدركوا حتى الان محنتنا نحن العراقيين ، ولم يشعروا بهول المأساة سابقا ام لاحقا . لم يتلفظ عوني بأي كلمة سوء ضد الاخت حياة او ضد كل اصدقائه الاردنيين الذين اتهموه بشتى التهم .. بل قال : سامحهم الله سامحهم الله . ثم اردف قائلا لي : سارسل لك الان المقال الذي شتمتني فيه حياة الحويك ظلما وعدوانا لترى ما فيه من شتائم مقذعة .. هدأت من روعه

وبعد قليل ارسل لي المقال وفوجئت به بعد ان طار النوم من عيني ورحت أتأمل واتساءل : هل من المعقول ان يشتم فنان بوزن عوني بكل بدائية ؟.

ما المقال الذي هاجم عوني كرومي ؟

لقد قرأت " المقال " وتألمت كثيرا لما نشرته الاخت حياة بحق الصديق المبدع عوني كرومي .. لأمر لم تتبين مدى نسبيته وخصوصيته .. فليس من السهولة ان اطعن بوطنية أي عراقي ، فكيف اتجاوز كل الحدود لأطعن بوطنية أي عربي ؟ربما اخالفه في افكاره ومعتقداته ، ولكن ثمة خط احمر في ما يتعلق بوطنية أي انسان ! ومن يكون ذلك " الانسان " انه عوني كرومي الذي صرف كل لحظات عمره من اجل ان يقدم ابداعا يعجز الملايين ان يطالوا قامته .. لقد نشر المقال في جريدة الخليج الاماراتية يوم الجمعة ٣٠ ابريل ٢٠٠٤ ، وتضمن هجوما شخصيا ساخطا مبرحا ضد الدكتور عوني كرومي بسبب رجوعه الى العراق اثر سقوط النظام السابق واختياره مع اثنين آخرين لادارة الهيئة الوطنية للاعلام والاتصال في بغداد . وكنت اتمنى معالجة هادئة بين الاثنين ، ولكن المقال ازدحم بالشتائم التي لا مبرر لها ضد الاخ عوني عندما تبرأت الاخت حياة من صداقتها منه ، اذ كان لها صداقة عميقة معه في الاردن ، تقول : " لكنني ككل الشقيقات الحّرات اتبرأ منك " ! وتبدأ بادانته كونه ليس " الوحيد الذي طأطأ رأسه امام سبابة بول بريمر ، لست الوحيد الذي ساق مسرحية معاداته للنظام الصدامي بحجة الانتصار للحرية ، للحق والخير والجمال ، القيم التي تشكل عصب الفن ودمه ، ثم انهاها بالالتحاق بالاحتلال الذي يشكل احقر انواع المصادرة ، لكل ما هو حق وخير وجمال . لست الوحيد الذي اثبت انه من الرخويات التي تجعل من حب العراق وحب الثقافة منزلقا لكره الكرامة الشخصية والوطنية ! " .

عوني كرومي ليس من الرخويات

لا ابدا يا اختنا حياة .. ان عوني . رحمه الله . لم يكن من الرخويات ، فهو فنان حقيقي ارتبط بهموم شعبه وبلده وعاش مأساة العراق وتجّرع من القسوة والالام ما لم يتجرعه الاخرون .. وهو اسم كبير سوف لا تنجب (الامة العربية) من مثله لزمن طويل قادم ! وكنت اتمنى ان تتوجه الاخت حياة برسالة عتاب هادئة ولطيفة بكل ما تحمله الشفافية من معنى الى الاخ عوني ، كما كنت اتمنى ان تنشر مقالا تعتذر فيه لما نشرته بحقه بعد رحيله المفجع ، ولكنها . ويا للاسف الشديد . لم تفعل .. فالرجل عاد الى العراق بحسن نية ونداء شعب من اجل ان يشارك في نهضته وبنائه ، ولكنه وجد من المناسب ان يغادره بعد ان صدمته الاحداث ، فغادره بشجاعة على غرار بقية المثقفين العراقيين الاحرار.. ولكن حتى ان بقي في العراق فهو بلده وحاضنته وترابه وعمل فيه . فما العيب في ذلك ؟ ان الاخ عوني كرومي . رحمه الله . اكبر من وصفه بالهلامية والجبن والحلم حد الضياع ! وهو الفنان الاصيل المبتلى بالغربة .. لم يختارونه لأنه مسيحي كما كتبت الاخت حياة !وتتساءل قائلة : " اي مسرح ؟ وأي فن ؟ وأي اعلام ستقيمونه لخدمة احتلال يغتصب ارضكم وثرواتكم ؟ اي اعلام وأي فن ستوظفونه لخدمة المشروع الامريكي – الصهيوني .... انطلاقا من العراق " .

لم يعش عوني كرومي طويلا ، فقد رحل وهو في ارض الغربة التي دفن فيها .. لقد صعقت وانا اسمع برحيل عوني بعد ان لفظ انفاسه بدقائق ، فقمت بالاعلان عن رحيله المؤسف .. وعندما رحل عوني وهو بعيد عن ارضه واهله وشعبه لم اسمع او اقرأ كلمة واحدة بحقه من قبل اصدقائه العرب الذين كانوا من اعز الناس اليه وعلى قلبه !!

مسرح عوني كرومي : مدرسة للذهن والحريات

يقول عوني وهو يصف ممارسته المسرحية :

"كان ومايزال العمل المسرحي بالنسبة لي فعل حياة وبقاء وتطور وسؤال دائم عن الكينونة والوجود وعملية أبداع الذات إلى جانب كونه رحلة ومغامرة في المستقبل بهدف الوصول الى الحقيقة وايجاد أجوبة لأسئلة العصر الراهن . كما أن العرض المسرحي حوار دائم مع النص والسينوغرافياوالممثل والمشاهد لأجل تحقيق الدهشة والانشداد بدل الارتياب والشك، الإعجاب والاستمتاع محل الاستهانة والضجر والتهكم وصولا الى شكل يحقق المتعة الفنية الراقية عبر الأداء المتميز والعطاء الإبداعي الخلاق للممثل الذي يرفد ثقافة المشاهد بما هو جاد وممتع ونافع، مرتقيا بمشاعره وانفعالاته وأسئلة الحرية المتعددة، ماهو ذاتي ومنها ماهو اجتماعي. يبقى ديدن العرض المسرحي المقدم الى جانب حرية الفن واستقلاليته التي تشكل في زمننا المعاصر سؤالا تصعب الإجابة عليه. " .

انني ارى عوني هنا وهو يقدم لنا فلسفته ويختزل كل حياته في كلمات رائعة .. انه يعتبر المسرح مدرسة حياة من اجل الوجود .. انه يشعر بأن المسرح مدرسة للكينونة .. للذات وللمستقبل .. انه يجد في المسرح بغيته كي يقف على خشيته ومنها ينطلق نحو الحياة كلها .. انه يجده رحلة مغامرة نحو المستقبل .. انه من خلال المسرح يبحث عن الاسرار ليكشف عن الحقائق كلها .. انه يؤمن ايمانا حقيقيا بقيمة المسرح وعظمة مشاهده التي يمكن تربية الاجيال عليها وعلى تجاربها الانسانية .. انه يريده مسرحا متكاملا بالنص والسينوغراف والممثل والمشاهد في بنية متراصة واحدة لخلق جدلية رائعة في الاخذ والعطاء وتحقيق انشداد دائم وخلق دهشة تربي التفكير وتخلق في الذهنية استعدادا دائم لتقبل الاشياء الجديدة والمعاني الخصبة . ان عوني يرى في المسرح عالما مدهشا لا تعيش فيه الريبة ولا تتخلله التشنجات ولا تمارس فيه الاستهانات ولا يغدو مكانا للضجر او يضج بالتهكمات .. انني افهم تماما ما الذي يريده عوني من مسرح يلهو فيه الانسان ، او مسرحا يزاول فيه الممثلون كل التفاهات والتعابير السوقية .. انه يريده مسرحا ممتعا بكل ما تعنيه الكلمة من معان .. نعم مسرح يرتقي بالمشاعر الانسانية ويصل بالانسان الى اعلى درجات الاحساس والالم والفرح والانفعالات الحية .. انه يريده مسرحا يجيب عن أسئلة الحرية المتعددة بشقيها الذاتي والموضوعي .. الفردي والاجتماعي بكل ما يمنحه العالم للمسرح وابنائه من حرية الفن واستقلاليته التي تشكل في زمننا المعاصر سؤالا تصعب الإجابة عليه .

أصدر عنه الناقد الراحل الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر كتاباً بعنوان (عوني كرومي والمسرح الشعبي) وكان قراءة نقدية عميقة ورصينة في أعماله (غاليلو وغاليليه ، كوريولان ، كشخة ونفخة ، الانسان الطيب ، ترنيمة الكرسي الهزاز ، بير وشناشيل ، رقصة الأقنعة)راصداً تجربته في الإخراج المسرحي ، وواصفاً اداءه بـ (الرُّقي) في شهادة كبيرة هو أهل لها.

الكلمات الاخيرة

كانت " مسرحية العبد والسيد " من آخر اعماله ، وهي نص سومري قديم حيث وجد فيه ثيمة معاصرة تتحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم مترجما اياها من عصر كلاسيكي قديم الى خصب الحداثة . انه يعشق التعامل مع النص التراثي – الاسطوري القديم . لقد كانت اطروحته عن " رثاء أور" لمؤلف سومري مجهول. وهو لا يتعامل أبدا مع الاعمال السهلة التي تقدم افكارها باسلوب مباشر ، اذ ان ثقافته الفنية قد تأسست على المزاوجة بين معرفة النص وتطبيقه على خشبة مسرح فعال . ويقال انك تجده أثناء التمارين : قارئا وشارحا وناقدا للظواهر والحركات والافكار .. وهو يربط بين كل ذلك والواقع الذي يعاصره .. انه بذلك يخدم المجتمع خدمات حقيقية من خلال ثقافة متمكنة وباحتراف عالي المستوى . وتجده يحرق اعصابه حتى يتم الاشياء على ما يريد هو نفسه .. وليس لما يريده أي واقع بائس ! انه بالقدر الذي ينجح فيه بالتعامل مع النصوص الشعبية والاسطورية له القدرة على توظيف النصوص العالمية .. وكان الرجل يشعر ان مسؤوليته اكبر من ان يملأ فراغ المتفرج ، بل يغدو له معلما بطريقة غير مباشرة . واعتقد ان الاخ الناقد ياسين النصير هو ابرز من حلل تجربة عوني كرومي الفنية مع نقاد عراقيين آخرين لا اريد ان ابخس دورهم ابدا ، ولكنني اعتقد ان اعمال عوني وفكره بحاجة ماسة الى المزيد من الدراسات والبحوث .. وسيبقى اسم عوني كرومي مسجلا في ذاكرة العراق الحضارية .

عوني كرومي الرجل الذي أكلته الغربة

وليد أبو بكر

منذ رأيت عوني كرومي شاباً صغيراً يشق طريقه نحو المسرح، لم تتوقف صلتي به، حتى رحل أخيراً، وهو لا يزال ذلك الشاب الصغير. لكن هذه الصلة باتت وثيقة إلى درجة الحب، بعد أن تعرفت عليه مخرجاً يضع على المسرح جهداً حديثاً يدفع بالمسرح العراقي إلى الصفوف الأولى في واقع المسرح العربي، حيث شكّل ظاهرة جدّية ومتميزة، قبل أن يعود كل شيء إلى الانهيار، مع الانهيار السياسي الهائل، وهو ما لم يستطع المسرح أن يتجنبه، وإن ظل كرومي لا يكفّ عن المحاولة.حين ضاقت به سُبل العراق الذي أحبه، طفش إلى بلاد الله التي لم تتسع له. ورغم أنه شدّ الرحال منذ سنوات إلى ألمانيا، التي سبق له أن أنهى دراساته العليا فيها، إلا أن من الصعب القول إنه استقرّ هناك، لأن الترحال بحثاً عن إضاءة يضيفها إلى المسرح العربي، وهو يتآكل، وزع هذه الحياة بين عواصم العرب الكثيرة، وبعض عواصم الغرب، لهاثاً لا يستقر ولا يهدأ، حتى أتعب قلباً لم يرحمه صاحبه، حتى بعد أن كان صريحاً في الإعلان عن هذا التعب.

سوف أقول بكل بساطة إن ما قدمه عوني كرومي من مسرح في العراق، كان خير المسرح الذي قدمه، رغم أن بعض الإمكانيات أُتيحت له في الخارج. كان هذا المخرج اللماح يعرف جيداً أن المكان هو العنصر الأهم في المسرح، لا بمعنى المكان المسرحي وحده، ولكن بمعنى المكان الذي ينتج فيه المسرح أيضاً، لأنه لا يشكل أرضية إنتاج وحسب، ولكنه يخلق الرؤية ذاتها، فتستوحى مما يعيشه صاحبها، وغالباً ما تغيب خارج مكانها الأصيل.

ولأن المسرح هاجسه الوحيد، كان القلق الذي شعر به خارج بغداد، بعد أن غادرها، قلقاً مضاعفاً: على الرؤية وعلى الوطن. وكثيراً ما شعر بالمعاناة وهو يحاول أن ينقل الثقافة التي يعرفها من داخلها إلى حيث يعمل، فيواجه بصعوبة ذلك، وربما باستحالته خارج بيئته، خاصة حين تكون الأدوات البشرية التي يستثمرها دون ما تعود عليه، كما حدث معه في غير مكان.

عايشت كرومي في بغداد، وفي غيرها، حين كان مستقراً في بغداد، ثم عايشته بعد ذلك، وربما في بعض الأماكن ذاتها، فوجدت أن الرجل/المسرحيّ مختلف، فالقلق والتوتر فنيّان وإنسانيّان معاً، وهما قاتلان لمن كان في مثل حساسيته.

عندما كنت مديراً لمهرجان القدس المسرحي، الذي تأجل وجوده لعدم قدرتنا على الوصول إلى القدس منذ سنوات ست، كان أول ما فكرت فيه هو أن يأتي كرومي إلى القدس، ثم إلى فلسطين كلّها، حيث يقدم بعض خبرته، وقد فعل. شعرت مع كرومي، الغريب عن بغداد، عندما قال لي: أفهم الآن لماذا اخترت أن تكون هنا، رغم كل ما تعاني منه هنا. "لا شيء يعدل الوطن".

في حبّ الوطن، كانت الغربة تنهش القلب. قدم القلب لصاحبه إنذاراً نهائياً، لكن المسرحي العنيد لم يسمع. رفض أن ينحني للمرض، أو أن يطيع أية مبادرة تطالبه بأن يكون حريصاً، لا لصالح ذاته فقط، وإنما لصالح المسرح، هاجس حياته الوحيد أيضاً.

لم يكن عوني كرومي مجرّد مخرج أو أستاذ. كان مفكراً مسرحياً شامخاً ومؤثراً، وكان كل الذين أحبوه، وآمنوا بقدراته، يتمنون لو يجبرونه على التعامل مع الخطر، لكنه أعند من أن يُطيع.

هو لم يكن مجرد نفر يعبر الحياة والفن: كان كبيراً فيهما معاً، لذلك فإن الشعور بفقدانه لا يكون إلا كبيراً

جريدة الحياة اللندنية حزيران 2006

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2114)
السنة الثامنة
الخميس (28)
نيسان 2011

عوني كرومي لم يتوقف عطاؤه حتى بعد موته !

يوسف العاني

نعم ! ان عوني كرومي ظاهرة مسرحية فريدة لم تقف عند حدود المكان والزمان الذي هو فيه سواء حين كان طالبا او صار مدرسا يعلم في المسرح في كلية الفنون .. او مخرجا قدم العديد من الاعمال المسرحية التي زها بها المسرح العراق .. او حين ترك الوظيفة في بغداد وغادر مكانه الاصيل .. الوطن .. وراح يعمل بعيدا عن فضائه المعطر بالتراث وكل مكونات حياته المبدعة النقية حاملا مقوماتها التي زادته مكانة وقدرا وخرج بها .. لاليعمل كما بدا وكان بل ليزداد عطاؤه وهو في بعده الذي صار فيه وليتضاعف كما ونوعا حيث وجد نفسه حرا بلا تدخلات او اعتراضات فيما كان يفكر او يطرح في مسرح تبناه وآمن به مرتبطا بالابداع الواعي وبالانسان وقضاياه في كل زمان ومكان ..

لقد ظل متحركا لايمكن للسكون ان يجد موقعا فيه او في مخيلته الخصبة التي ظلت رحبة ومتجددة لاتقف عند حدود شكل ما او موضوع واحد او حياة جامدة .. بل .. وكما اشرت .. متحركة لاحدود لها الا انسانية المسرح والوجه المشرق فيه .. هكذا عمل – عوني كرومي وهو يعيش رحابة العمل حين فارق الوظيفة مضطرا لاراغبا وظل حتى اخر يوم في حياته سفيرا للمسرح العراقي بنضجه وغنى تجربته.. في اكثر من مرة تحدثت عن عوني كرومي منذ ان تخرج في بغداد ثم مارس الدراسة ببرلين لمسرح برتولد برشت) وانا هنا اعني حقا ما تعنيه كلمة (مارس) فقد اطلعت على خطوات الدراسة هناك وبالنسبة له بالذات منذ اليوم الاول ونحن نلتقي في مسرح (البرلينر انسامبل) لنشاهد سوية مسرحية (كوريو لانومس).

لقد كانت فترة دراسته وخطواته فيها صورة مشتركة لذاك الطالب الذي يتعلم بصيغة ميزته عن كثيرين من زملائه. كان استمرارا في السير قدما بدرب رحب امامه كي يستزيد ويتثقف ويضيف لما عنده مطورا ومغنيا كي يكبر ويتسع معرفة ويتعمق وعيه وادراكه بتواضح من جهة وبثقة عالية لما عنده من جهة اخرى .

عوني كرومي – بتقديري واقول ذلك بثقة ويقين كاملين، حالة مسرحية مثقفة ومتميزة وضعت في ظروف تباينت وتعددت .. لكنها – أي الحالة – ظلت على تميزها والتزامها الثقافي والمبدع حد الايمان .

فالنظرة اليه وتقويمه لايمكن ان تكون بحسابات تقليدية، بل وحتى بحسابات اصولية مجردة عن واقع اخر وحسابات لايمكن لها ان تجددها قواعد مجردة عن حالة بل حالات اشرنا اليها في بداية الحديث .

سوف يقول البعض، وهم محقون في حسابات الصح والخطا قانونا .. لكنني وانا اعلق على كلمة نبيلة كتبها الاخ (علي حسين) في العدد ١١٢٨ من جريدة المدى المنشورة يوم الاحد المصادف ١٣ من كانون الثاني ٢٠٠٨ بعنوان ((نقطة ضوء – من ينصف عوني كرومي)) وعائد الى مرحلة قديمة عشتها بل تعلمت منها .. ماذا يعني مسرح الانسان حين تتحول المفاهيم والعدالة من سطور في كتب الى حقيقة يراها الانسان ويتاملها بوعي وجدارة وصراحة ان جاز لي هذا التعبير. انذاك وانا طالب جاد وجيد ! في كلية الحقوق التي اعتز بما تعلمت منها وفيها، كنت احتضن واعتز بطروحات اساتذة لي حول الفرق او الاختلاف بين التمسك بالنص القانوني وبين(الغوص في روح القانون)وادرك وانا في بداية الدرب باهمية ان نكون امام الحياة صدقا وامانة وعدلا كي لانسقط في الظلم ندري او لاندري .

هذه العودة اعادتني اليها كلمة الاخ – علي حسين – كما اشرت وهو يتحدث بوفاء عن فنان لايمكن الا ان نقف امامه بخشوع واعتزاز .. وهذا مافعلته وانا اقف بالقرب من قبري برتولد برشت وهيلينا فايكل –ببرلين– وامام هذين القبرين قبر عوني كرومي الذي شغل قطعة ارض صغيرة تساوت مع السطح وكانه ابن لمسرحهما وامتداد لكرامة الانسان اينما كان ومن أي بلد عاش او مات فيه مادام ذلك الانسان فنانا اصيلا كما بدا سفيرا لبلاده بلا سفارة أمينا على كل القيم ظل سفيرا حتى بعد موته .. حاضرا في كل مهرجان ومؤتمر بافكاره التي طرحها او ارائه التي قدمها ليبقى بحضور مؤثر حتى وان غيب قصدا كي تبقى المواقع لاشباح مسرحية تريد ان تصول وتجول في هيئات كان عوني واحدا من مؤسسيها ومعه مسرحيون عراقيون جادون ومختصون لايهمهم ان كانوا في مثل تلك الكيانات او بعيدين عنها الا بقدر ما يقدمون من خدمات نافعة لمسرحهم العربي !

عوني ضمير مسرحي نقي اضعه اليوم وانا اعلن بصوت عال لكل المسؤولين في العراق ان يقرؤا حقيقة هذا الفنان ومكانته ونضاله وابداعه الذي تجاوز كل الممكن واللاممكن ليكون ويظل السفير الامين للمسرح والفن العراقيين .. وان تقدم له ولعائلته الطيبة الكريمة المكانة او التقويم عبر روح القوانين التي هي من روح العدالة وجوهرها وليست تمسكا بالنص ومع تقديري لمن اتخذ الموقف بحسن النية وخشية المسؤولية التي قد تنال منهم وهم – كما ذكرت – محقون بتقديراتهم المحدودة والمبرمجة ..

لكن حالة الفنان عوني كرومي النادرة والمتميزة هو وامثاله القليلين حالة توضع امام المراجعة ولابد لها من ان تعيد لعوني واسرة عوني حقيقتهم وحقهم النبيل والكريم وهم واقول على مسؤوليتي امام الله والعدالة الانسانية جديرون بذلك والحق اهل له.

لقد كانت فترة دراسته وخطواته فيها صورة مشتركة لذاك الطالب الذي يتعلم بصيغة ميزته عن كثيرين من زملائه. كان استمرارا في السير قدما بدرب رحب امامه كي يستزيد ويتثقف ويضيف لما عنده مطورا ومغنيا كي يكبر ويتسع معرفة ويتعمق وعيه وادراكه بتواضح من جهة وبثقة عالية لما عنده من جهة اخرى .
عوني كرومي – بتقديري واقول ذلك بثقة ويقين كاملين، حالة مسرحية مثقفة ومتميزة وضعت في ظروف تباينت وتعددت .. لكنها – أي الحالة – ظلت على تميزها والتزامها الثقافي والمبدع حد الايمان .

غاليلو المسرح العراقي قبل يومين من رحيله

مسرح يحترم فكر الأنسان ويجسد وعيه

حسين الانصاري

لم اكن اعرف ان لقائي بك في برلين قبل يومين سيكون اللحظات الاخيرة من مسيرة جمعت بيننا سنين طوال ، كنت استاذا لي وزميلا وصديقا ، كان الدكتور عوني كرومي يتوسط جلسة الندوة الفكرية التي ضمها الاسبوع الثقافي العربي تلك التي دعيت لها الاسبوع الماضي وكان بصحبتنا ايضا الاخوين الناقد السوري د. عادل القرشولي والفنان د. اسعد راشد ، كان محور حديثنا عن واقع المسرح العربي اليوم تحدث بحماسة العارف وخبرة المجرب ، و بعد الندوة اجري اخر تمرين لمسرحية مسافر ليل للشاعر المصري صلاح عبد الصبور، كان مغرما بهذا النص الذي اعاد اخراجه برؤية جديدة اذ استبدل فيها الشخصيات بفتاتين ادتا كل الادوار مستخدما السلالم ديكورا وهو يفجر مفردته هذه بشتي التوظيفات منتجا منها دلالات العرض المقصودة ، ورغم ان العرض قدم لنا باللغة الالمانية الا ان الصورة كانت حاضرة وبليغة مما جعلنا نعيش معه متعة القراءة والتأويل .

عوني افرام كرومي من مواليد نينوي ١٩٤٥ انسان يفيض محبة ووعيا وطيبة ، تربي في فضاء المسرح الشعبي تلقي فيه اول الخبرات من استاذه الراحل جعفر السعدي واقرانه كان يتعبد في هذا المزار ، يغادره صباحا ويعود اليه مساء حاملا مشاعل النور وليعرض فيه اجمل الافكار التي ما زالت علامة مميزة في تأريخ المسرح العراقي . انه لايختار الا تلك الاعمال التي يجد فيها ذاته ،الاعمال التي تحترم فكر الانسان وتجسد وعيه وتجيب عن قلق اسئلته وتعلن تحديه وتواصله نحو افاق الغد وامال المستقبل . فكانت من بينها رائعته الخالدة (غاليلو غاليلي) حيث الصراع بين قوي السلطة وحقائق العلم التي قدمها علي مسرح اكاديمية الفنون مجسدا فيها خلاصة وعيه وجمال رؤاه وسحر معالجته شكلا ومضمونا . لقد واصل الفنان الراحل مسيره الفني الذي رسخه بالدراسة الاكاديمية في معهد الفنون واكاديمية الفنون الجميلة بجامعة بغداد وليكمل دراسته العليا في جامعة همبولدت الالمانية رافقني اليها وهو يشرح لي كل تفاصيل ايامه وذكرياته مع رموز الابداع الالماني : غوته ، شيللر ، لسنج ، هسه ، ماكس راينهارت ، هاينر ميللر ، برتولد برخت والقائمة لاتنتهي...

في عام ١٩٧٧ عاد الي الوطن وهو يفيض بالطموح والتجدد والرغبة للعمل فكان مدرسا في اكاديمية الفنون قسم المسرح صباحا وفي المساء يقضي الساعات مخرجا في المسرح ، كان محملا بحماسة الفنان الحقيقي والمثقف الواعي اغترف من التراث العراقي القديم وقدم لنا رثاء اور ومأساة تموز ثم اتبعهما بسيل من الاعمال الرائعة : كوريولان ، رؤي سيمون ماشار ، تساؤلات مسرحية ،القائل لا القائل نعم ، تداخلات الفرح والحزن ، مبادرات ، فوق رصيف الرفض ،الغائب ، الانسة جولي ، الانسان الطيب ، صراخ الصمت الاخرس ، مساء السلامة ، ترنيمة الكرسي الهزاز ، المسيح يصلب من جديد ، مشعلو الحرائق ،السيد والعبد ، مسافر ليلان الفنان عوني كرومي كلن فنانا شاملا مثل واخرج وكتب العديد من المؤلفات في حقول الفن المسرحي وقد درست كتبه في معظم معاهد الفن العربية والالمانية ومن اعماله المطبوعة نذكر طرق تدريس التمثيل ، فن التمثيل ، المسرح المدرسي ، المسرح الالماني المعاصر ،روبرتو تشوللي ومسرح الرور ، جوته ، بينيكيو فاوست كما توزع ابداع الفنان الراحل علي مساحات الوطن العربي فقد اسهم في التدريس الجامعي واقام عشرات الورش المسرحية في فنون التمثيل والاخراج والسينوغرافيا كما شارك في معظم مهرجانات المسرح العربي وملتقياته تارة مخرجا واخري باحثا ومحاضرا ومحكما ، ان اختيارات المبدع الراحل تعبر بوضوح عن فكره الثاقب ونظرته الابداعية واحساسه المرهف ومشاعره الانسانية لذا جاء تعامله مع النصوص العراقية منها او العربية والعالمية بذات المستوي من القدرة العالية والصدق الفني ، كان يضع لمساته بوضوح ويطبع اعماله بوشم الابداع وحنكة المتمرس ، لم تغب هموم الانسان والوطن في جل اعماله كان محاصرا بقلق الاسئلة ومجاهل الوجود واستشراف المستقبل ، هذه الهموم رافقت رحلته الابداعية داخل الوطن وفي المهجر ايضا ،

حلم ابو حيدر طوال حياته بوطن معافي ومسرح عراقي اصيل يقدم للانسان زاد الثقافة الجادة وجمال الصورة وجرأة المواجهة ، لذا فقد كانت اعماله عرضة لرقابة السلطة فمنع البعض منها وتوقفت عن العرض واحيل للتحقيق والاستجواب اكثر من مرة لكن هذا لم يفت في عضده وظل امينا لمبادئه وافكاره اليسارية والتقدمية عبر مسرح يسعي

الي الخلاص ويدعو الي علو شأن الانسان اينما كان ولهذا كانت عروضه تستقطب الجمهور اينما تكون . عوني كرومي نهر عطاء انساني وفيض ابداعي لاينضب ، ستظل انجازاته راسخة في القلوب والضمائر، نبراسا للاجيال ومشاعل تنير الدرب لطلاب الفن الخالص والمسرح الحقيقي الذي يحترم عقل الانسان وذوقه الراقي ، انه نافذة نحو أفاق الوطن الجريح ومرأة الواقع لم اكن اعلم ان القدر يترصد خطواته نحو النهاية المحتومة ، كان لقاء برلين الاخير بيننا ،تحدثنا طويلا وحاورته عن اخر افكاره سأنشرها عما قريب ، اهداني اخر اعمالة وكتب لي في الاهداء : هذا ما جاد به المنفي أملين ان يكون مفيدا لغيرنا.

ايها الراحل الجليل ياغاليلو المسرح العراقي ودعتنا جسدا لكن فكرك سيبقي هاديا لنا في دروب الفن والوعي والابداع ابدا

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

التصميم: نصير سليم

التصحيح اللغوي: عبد الرزاق سعود

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للإعلام والثقافة والفنون

عوني كرومي ..

والدفاع عن قضايا الانسان

منذ عمله الأول كان الانسان كلمة السر والمفتاح السحري الذي دخل منه عوني كرومي الى المسرح فنانا يؤمن بان الانسان وقضاياه جزء لايتجزء من العمل المسرحي وان العمل المسرحي لايبرز وجوده دون ان تصلح قضية الانسان نقطته المركزية فالفن تصوير لوجدان الناس واحاسيسهم وبحث في الحرية التي تؤسس لسلوك يومي وحياتي ولم تنعكس هذه المواقف على مسرحيات عوني كرومي وحسب وانما انعكست على مجمل مواقفه الحياتية التي اتسمت بالشجاعة والمثابرة فكان بحق فناناً مولعاً بمعرفة على ثقافاته المتعددة يؤمن بان خشبة المسرح لابد من ان تصبح جزءا من الجمهور جزءا من صورته العامة

وقد دفعته مواقفه هذه الى مغادرة العراق في اوائل التسعينيات بعد ان أيقن من ان مشروعه المسرحي لا يمكن له النجاح وسط هاجس الخوف الذي كان يعيشه العراقيون انذاك فغادر العراق مرغما ليعمل استاذا في جامعة اليرموك لينتقل بعدها الى المانيا حيث حصل على اللجوء السياسي بعد ان وقفت منظمات حقوق الانسان الى جانبه وساندت طلبه المشروع . ومن هناك يحمل قضية العراق وشعبه فيجسدها في عمل مسرحي (السيد والعبد) حيث قدمت هذه المسرحية في عدد من البلدان في العالم وادى الدور الرئيسي فيها الفنان الكبير خليل شوقي لكن حلم عوني كرومي الكبير كان في ان يقدم عملا مسرحيا على مسارح بغداد وتحين الفرصة بعد تغيير النظام حيث سعى كرومي لاعداد مسرحيتين تقدم الاولى في بغداد والثانية في اربيل الا ان القدر كان اقوى منه هذه المرة ليرحل تاركا حلمه يرفرف بجناحيه فوق مدينته الحبيبة بغداد املاً ان يحقق تلامذته وزملاءه احلامه في مسرح عراقي يتبنى قضايا الانسان وهمومه وتطلعاته

ولد الفنان المسرحي البروفسور عوني افرام كرومي في الموصل سنة ١٩٤٥ تخرج في معهد الفنون الجميلة بغداد ١٩٦٥

تخرج في اكاديمية الفنون الجميلة بغداد ١٩٦٩

نال شهادة الماجستير- علوم مسرح من معهد العلوم المسرحية، جامعة همبولت/ برلين ١٩٧٢ حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم المسرحية، معهد العلوم المسرحية- جامعة همبولت/ برلين/ المانيا ١٩٧٦.

بدا تجربته المسرحية منذ عام ١٩٦١

حصل على العديد من الجوائز العالمية في مهرجانات بغداد- القاهرة-قرطاج-برلين كما حصل على لقب (وسيط الثقافات) من مركز برست-برلين

صدرت له عدة مؤلفات بالدراسات المسرحية

اخرج اكثر من سبعين عملاً مسرحياً منها

كاليكولا، كريولان، كاساه تموز، تداخلات الفرح والحزن، فوق رصيف الرفض، الانسان الطيب، صراخ الصمت الاخرس، ترنيمة الكرسي الهزاز، بيرو شناشيل، السيد والعبد.

توفي في يوم السبت ٢٧ ايار سنة ٢٠٠٦ في كواليس المسرح برلين

عراقيون من زمن التوهج